تجريد الظواهر التطريزية

(النبر- التنغيم- التزمين)
بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية
عرض ونقد

إعداد
د/ أحمد زين الدين محمد أحمد
مدرس أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

تجريد الظواهر التطريزية (النبر- التنغيم- التزمين) بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية عرض ونقد

أحمد زين الدين محمد أحمد
قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، قنا، مصر.
البريد الإلكتروني:ahmedzaineldein.٤١١٩@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تعالج هذه الدراسة مسألة تجريد الظواهر التطريزية (النبر- التنغيم- التزمين) بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية، وتهدف هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي التحليلي إلى الوقوف على آثار تلك الاتجاهات البحثية ومشكلاتها، وتناقضاتها، في عرض يتناول نماذج كاشفة، ونقد يحاول الوقوف على جدواها، وما يصلح منها لبيان حدود هذه الظواهر وضوابطها وإصدار الأحكام القيمية المتعلقة بها.

جاء البحث في مقدمة فيها أهمية الموضوع ودوافعه ومنهج البحث وخطته، وتمهيد عن الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها، وسبعة مباحث وخاتمة، في المباحث السبعة عالجت قضايا تجريد الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية، في المبحث الأول حديث عن الظواهر التطريزية من الملاحظة الذاتية إلى القياس الفيزيائي (تفسير أم تحكم؟)، وفي الثاني حديث عن المفاهيم، وفي الثالث حديث عن الأقسام والقوانين، وفي الرابع حديث عن الأحكام المعيارية، وفي الخامس عن مشكلات تجريد الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية. وفي السادس حديث عن غايات التجريد والسبيل إليه، وفي السابع عالجت تجريد الظواهر التطريزية بين التكلف والسعة، وقد خلصت الدراسة إلى أن إقحام مصطلحات القياس الفيزيائي في مفاهيم الظواهر التطريزية وحدودها- لم يكن ذا جدوى في إمكان ذوقها وإدراكها. كما أن إصدار أحكام تقويمية تتعلق بالظواهر التطريزية في أداء القراء؛ بناء على معطيات القياس الفيزيائي – يمثل أثرًا سلبيًّا. ولا سيما مع ما في ذلك القياس من مشكلات تحول دون تسويغ ذلك، من جهة أخرى بيّنت الدراسة أن تجريد الظواهر

التطريزية وإخضاعها للتعلم والتعليم اعتمادًا على الملاحظة الذاتية - أمر ممكن، كما حددت أمورًا يمكن الانطلاق منها ومراعاتها في تجريد تلك الظواهر، أهمها الوقوف على العلاقة بين الرواية والدراية، والتفريق بين ما وصفته الدراية وصفًا ضابطًا كاشفًا عن نظامه وطرائق أدائه من الظواهر، وما لم تُعن به الدراية بحيث يمكن البحث فيه للكشف عن نظامه وطرائق أدائه منها، بالإضافة إلى اعتبار الإشارات المبثوثة في كتب التراث التي تشير إلى إدراك نظام هذه الظواهر وآثارها في اللغة، ولا ينبغي أن يُقصر النظر حينئذ على السؤال عن وجود إشارات لتلك الظواهر في الدرس التراثي من عدمه، بل يجب أن تُستقصى جوانب توظيف هذه الإشارات بما يوقفنا على آثار تلك الظواهر ويُعيننا على الكشف عن نظامها.

الكلمات المفتاحية: الظواهر التطريزية، النبر، التنغيم، التزمين، الأداء القرآني، الإدراك السمعي.

The Abstraction of Prosodic Phenomena (Stress, Intonation, Timing): Between Instrumental Phonetic Measurement and Subjective Observation (Analysis and Critique)

Ahmed Zein Eldein Mohamed Ahmed
Department of Linguistic Foundations, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-AzharUniversity, QenaEgypt.
Email: ahmedzaineldein.٤١١٩@azhar.edu.eg

Abstract:

This study investigates the abstraction of prosodic phenomena—stress, intonation, and timing—by critically examining instrumental phonetic measurement versus subjective observation. Employing a descriptive-analytical approach, it evaluates the theoretical assumptions, methodological issues, and inherent contradictions associated with these two research paradigms. Through illustrative examples and critical discussion, the study assesses the efficacy of each method, determining which elements effectively clarify the boundaries, criteria, and evaluative standards related to these prosodic features.

The study begins with an introduction outlining the significance, objectives, methodology, and structure of the research, followed by a preliminary section defining prosodic phenomena and the intended meaning of their abstraction. It is then divided into seven sections: Section one addresses the shift from subjective observation to instrumental phonetic measurement, questioning whether this transition represents genuine explanatory advancement or merely imposed constraints. Section two explores key concepts, while section three examines classifications and theoretical principles. Section four discusses evaluative standards, and section five critically analyzes the problems encountered when abstracting prosodic phenomena using instrumental measurement as compared to subjective analysis. Section six investigates the aims and appropriate methods for abstracting prosodic phenomena, and section seven evaluates abstraction approaches regarding complexity and comprehensiveness.

The study concludes that introducing instrumental phonetic terminology into discussions of prosodic phenomena has proven largely ineffective in accurately capturing and describing their perceptual and experiential qualities. Furthermore, relying on instrumental measurements to formulate evaluative judgments of prosodic performance—particularly in Qurʾānic recitation—often produces negative outcomes, due to methodological difficulties inherent in such measurements. Conversely, the research demonstrates the viability of abstracting these phenomena through subjective auditory analysis for teaching and learning purposes. It highlights several key considerations for this approach, including recognizing the interplay between traditional oral transmission (riwāya) and scholarly analysis (dirāya), clearly differentiating between phenomena already systematically described by classical scholarship and those yet to be comprehensively studied, and carefully examining implicit references in classical texts to the linguistic and perceptual significance of prosodic features. Rather than merely questioning the existence of references to prosodic phenomena in classical literature, the study argues for thorough exploration of how traditional insights can deepen contemporary understanding of these features and reveal their underlying structures.

Keywords: Prosodic Phenomena, Stress, Intonation, Timing, Qurʾānic Recitation, Auditory Perception.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله الذي شرف العربية فجعلها لغة كتابه، وشرف الناطقين بها فجعل أفصحهم لسانًا خيرة خلقه من مصطفيه وأحبابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل القرآن﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، ويسره بلسان حبيبه ﷺ؛ ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا،﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)﴾ [مريم: ٩٧] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، أبلغ بني العروبة منطقًا، وأفصحهم لسانًا، وأسماهم بيانًا، وأدراهم بمداخل القول وطرائق الكلام، فاللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين. وبعد،

فإن الظواهر التطريزية تتعلق بعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجي)، وتكتسب أهميتها من أثرها في التواصل، حيث تقوم في الكلام المنطوق مقام علامات الترقيم في النصوص المكتوبة، بل تزيد على ذلك أنها تحفظ اللسان من مزالق اللحن، ويؤمن بمراعاتها اللبس في بعض المواضع.

وقد تجاذبت هذه الظواهرَ اتجاهاتٌ بحثيةٌ مختلفةٌ، في سبيل دراستها وبيان مفاهيمها وصورها وأوصافها الضابطة وآثارها في اللغة العربية، بين دراسات تعتمد على القياس الفيزيائي المتعلق بمدونات محددة، وتنظيرات تعتمد على الملاحظة الذاتية ذوقًا وإدراكًا، وبينهما حديث عن قضايا تتعلق بوجود تلك الظواهر في العربية، ومعرفة القدماء بها، وآثارها الدلالية- إثباتًا ونفيًا، إلى غير ذلك.

ويهدف هذا البحث إلى الوقوف على آثار تلك الاتجاهات البحثية (أعني ما يتعلق بالقياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية) ومشكلاتها، في عرض يتناول نماذج كاشفة، ونقد يحاول الوقوف على جدواها، وما يصلح منها لبيان حدود هذه الظواهر وضوابطها وإصدار الأحكام التقويمية المتعلقة بها.

إن نظرة عجلى في اتجاهات الدراسة الصوتية المتعلقة بهذه الظواهر

ونتائجها تَقِفُنا على آثار سلبية عديدة، من مشكلات في المفاهيم والقواعد والأحكام المتصلة بها، وهذا جدير بأن يَحْفِزَنا إلى نظرة متأنية لمراجعة أكثر من خمسين عامًا من الدرس الصوتي في جامعتنا، على مستوى اتجاهاته البحثية المطروقة، ومسائله وقضاياه المطروحة، بالإضافة إلى نتائجه وتوصياته التي أثمرتها تلك الأبحاث، وليس ذلك من أجل إصدار أحكام تقويمية حول ما كُتب من دراسات سلبًا أو إيجابًا، بل من أجل محاولة الوصول إلى الوسائل ذات الجدوى في إبراز هذه الظواهر بأوصاف واضحة منضبطة، بما يكشف عن طرائقها وأنظمتها وقوانينها في اللغة، وبما يمكّن من تَعَلّمها وتعليمها، والقدرة على توظيفها في الخطاب اللغوي لدى المتكلم ذوقًا وإدراكًا.

أسباب اختيار الموضوع

دفعني إلى هذا البحث أمور منها:

- أني لم أقف على دراسة تناقش فكرة التجريد لتلك الظواهر التي يُعنى بها البحث (النبر والتنغيم والتزمين)، من حيث منطلقاتها ووسائلها وأثر اختلاف الاتجاهات البحثية فيها.

- ما بدا في دراسات بعض الباحثين من العناية بالجانب الفيزيائي فقط وإهمال جانب الذوق والملاحظة في إدراك هذه الظواهر، وما صحب ذلك من أحكام معيارية يغيب عنها طابع العلمية في كثير من الأحيان.

- عدم مساوقة القياس الفيزيائي للظواهر التطريزية لقياس الملاحظة الذاتية والإدراك السمعي في أحيان كثيرة، كما بدا في دراسات بعض الباحثين[1]؛ مما يبعث على بحث آثار ذلك الاختلاف في تجريد الظواهر وذوقها وتوظيفها.

- ما بدا في دراسات الباحثين في هذه الظواهر من قصر النظر في إيراد الإشارات التراثية على الاستدلال لوجود تلك الظواهر في الدرس التراثي من

(١) من ذلك دراسة الدكتور عبد الحميد زاهيد (نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية) وكتاب (النبر في القرآن الكريم: صوره ورؤاه وقضاياه ومسائله الخلافية) أحمد زين الدين.

عدمه، دون الوقوف على وظائفها في التراث، ومن ثم الانطلاق منها في تجريد الظواهر التطريزية.

- ما يلحظه الباحث في تلك الظواهر من حشو لمصطلحات القياس الفيزيائي في مفاهيمها وأقسامها، بما لا يمكن استثماره في الجانب الإدراكي لها، ومن ثم تعلّمها وتعليمها.

منهج البحث

اتبعت في بحثي المنهج الوصفي التحليلي؛ للوقوف على أثر اختلاف الاتجاهات البحثية في دراسة الظواهر التطريزية وبيان مفاهيمها وصورها وأوصافها الضابطة وآثارها في اللغة العربية.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وفيها حديث عن أهمية الموضوع وهدف البحث ودوافعه وخطته.
- **التمهيد:** تحدثت فيه عن الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها.
- **المبحث الأول:** الظواهر التطريزية من الملاحظة الذاتية إلى القياس الفيزيائي (تفسير أم تحكم؟).
- **المبحث الثاني:** مفاهيم الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.
- **المبحث الثالث:** أقسام الظواهر التطريزية وقوانينها بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.
- **المبحث الرابع:** الأحكام المعيارية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.
- **المبحث الخامس:** مشكلات تجريد الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي

والملاحظة الذاتية.

- **المبحث السادس:** تجريد الظواهر التطريزية غاياته والسبيل إليه.
- **المبحث السابع** :تجريد الظواهر التطريزية بين التكلف والسعة.
- **الخاتمة.** وفيها أهم نتائج البحث.

وينطلق البحث من فرضية مفادها أن تجريد الظواهر التطريزية عملية عقلية مبدأها الحس والإدراك، فلا يمكن إصدار أحكام معيارية حول هذه الظواهر قبل إدراكها قدرة على أدائها من جهة، وتوظيفًا لها في الخطاب اللغوي من جهة أخرى، فإنه "منذ يبدأ الحس في نقل المعرفة، يبدأ العقل في تجريدها وحفظها، ثم بعد ذلك يكون العقل المرجع في تصحيح هذه المعرفة واستذكارها"[(١)]، وجملة الأمر- كما يقول عبد القاهر- " أنك لن تَعْلَم في شيءٍ منَ الصناعات عِلْماً تُمِرُّ فيه وتُحلْي، حتى تَكونَ ممن يَعْرِفُ الخطأَ فيها مِن الصَّواب، ويَفْصِلُ بينَ الإِساءةِ والإِحسان، بل حتى تُفاضِلَ بينَ الإِحسان والإِحسان، وتَعْرِفَ طبقاتِ المُحْسنين"[(٢)].

---

(١) الخطوط الرئيسية لنظرية المعرفة، لابن عقيل الظاهري ص ٣٣

(٢) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ص ٣٧

تمهيد

عن الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها

أولًا: موقعية الظواهر التطريزية من علم الأصوات

لعلم الأصوات اللغوية قسمان:

أحدهما: علم الأصوات العام (الفوناتك): ويُعنى بدراسة الأصوات مفردة، ويتميز بكونه عامًا أو دوليًّا؛ لأنه يدرس الأصوات اللغوية التي تتكون منها أكثر لغات العالم؛ ولأن مخرج الحرف الواحد وصفته تكاد أحيانًا تكون سواء هي بعينها في كل اللغات.

والآخر: علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجي): ويُعنى بدراسة أصوات اللغة عندما تُركب في كلمات، أي عندما تقوم بدراستها، وهو قوميّ، خاصٌّ بلغة كل قوم، وليس دوليًّا أو عالميًّا[(١)].

ويفرق بينهما بأن: "الفوناتك: يبحث في المادة الصوتية الواقعة، والثاني - أي (الفونولوجي) - ينظر في وظائف هذه الأحداث، بعد تجريدها إلى أنماط أو طوائف أو مجموعات بمعايير أهميتها ووظائفها في اللغة المعينة"[(٢)]، وقد شبه الدكتور كمال بشر العلاقة بينهما بأن "علم الأصوات العام أو الفوناتك يجمع المادة الخام، وعلم وظائف الأصوات أو الفنولوجيا يطبخها"[(٣)].

وينقسم علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجي) إلى قسمين:

علم الأصوات الوظيفي القِطْعِيّ: وهو الفرع الذي يقوم بتحليل الكلام إلى قطع منفصلة، أي فونيمات، حيث تكوِّن الصوامت والصوائت ما يسمى بجزيئات أو قطع الكلام، ولهذا توصف بأنها فونيمات جزئية أو تركيبية[(٤)].

---

(١) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية د/محمد حسن جبل ٢١ - ٢٣

(٢) علم الأصوات د/كمال بشر ص ٤٧٣

(٣) المرجع السابق : الصفحة نفسها

(٤) ينظر: أسس علم اللغة، ماريوباي ص ٩٢ والنبر والتنغيم والفواصل الصوتية في العبرية وآرامية العهد القديم والسريانية، د/ ماري جرجس قليني حنا ص ٣

وعلم الأصوات الوظيفي فَوقَ القِطْعيّ: "وهو علم يدرس الأصوات الفوقطعية فقط، التي يدعوها البعض الأصوات التطريزية، أو الفوق تركيبية"[(١)]، وقد ذكر الدكتور عبد الفتاح البركاوي أن "أحدث الاتجاهات في علم اللغة يجعل هذا اللون من الدراسة قسيمًا للفونولوجي لا قسمًا منه، ويسمى هذا الفرع الأخير باسم prosody. ويمكن ترجمته بعلم الأداء الصوتي، وهو قريب إلى حد كبير من علم التجويد"[(٢)].

وهناك خلاف حول أقسام الوحدات فوق القطعية في الدراسات الصوتية الوظيفية؛ حيث إن مصطلح "فوق – قطعي" يستعمل للدلالة على وحدات صوتية وظيفية ونحوية أكبر من القطعة، وهي على النحو التالي:

- الوحدات فوق القطعية الوظيفية: تلك التي تُعَرَّف من خلال الوحدات الصوتية التي تتألف منها، وتشمل المقطع (syllable).

- الوحدات الوظيفية النحوية: وتشتمل على ثلاث وحدات، وهي: المورفيم التصـريفي، والجذر والكلمة.

- البروز فوق القطعي: وكلمة البروز تشمل النبر، والنغمة، والمدة الزمنية [(٣)].

ونخلص من هذا إلى أن الوحدات التطريزية جزء من علم الأصوات الوظيفي فوق القطعي.

ثانيًا: الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها:

أهم الظواهر التطريزية النبر، والتزمين، والتنغيم، والإيقاع، ويتصل بالتزمين مصطلحات أخرى كالكم الزمني والكمية والوقفة والصمتة أو السكت

(١) الأصوات اللغوية د/محمد علي الخولي ص ٢٣٤

(٢) مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي، هامش ص١٠١.

(٣) ينظر: Hyman, Larry M [Phonology: Theory and Analysis]p:١٨٧,٢٣٤[. نقلا عن: النبر والتنغيم والفواصل الصوتية في العبرية وآرامية العهد القديم والسريانية، ص ٤.

والوصلة أو المفصل والفاصل الزمني[١].

أما عن التجريد فيقول ابن فارس: "الْجِيمُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ بُدُوُّ ظَاهِرِ الشَّيْءِ حَيْثُ لَا يَسْتُرُهُ سَاتِرٌ"[٢]، وقد رُوي عن ابْن أبي إِسْحَاق أنه كان أشدّ تجريدًا للْقِيَاس[٣]، وقد عرف مجمع اللغة العربية التجريد بأنه "عزل صفة أَو علاقَة عزلًا ذهنيًّا وَقصر الِاعْتِبَار عَلَيْهَا أَو مَا يَتَرَتَّب على ذَلِك"[٤]، "والهدف من التجريد توفير إمكانية النظر إلى ما يتصوَّر المرء أنه أهم سمات ظاهرة ما وحدودها في صورتها النقية البحتة (جوهرها) بدون مراعاة مختلف التأثيرات الثانوية والجانبية والعرضية. وهي عملية تحديد وفصل، أي تعيين حدود يتم من خلالها استبعاد جزئيات وتفاصيل وصولًا إلى الظاهرة التي يحاول العقل فهمها، فالتجريد من ثم استراتيجية تحليلية أساسية. والتجريد مسألة أساسية في عملية صياغة النماذج، وفي عملية استخدامها واكتشافها" [٥].

والذي أقصده من التجريد في هذا البحث هو الوصف الضابط للظواهر التطريزية بما يكشف عن حدودها ومفاهيمها، وقواعدها وقوانينها، وأقسامها وأنواعها، والأحكام المعيارية المتعلقة بها.

---

(١) ينظر: من التزمين في نطق العربية الفصحى ص ١٥٨ – ١٥٩.

(٢) مقاييس اللغة ٤٥٢/١ (ج ر د).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ٩/١

(٤) المعجم الوسيط ١١٥/١ (ج ر د).

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د/ عبد الوهاب المسيري ٦٠/١

المبحث الأول

الظواهر التطريزية من الملاحظة الذاتية إلى القياس الفيزيائي (تفسير أم تحكم؟)

ذكر الإمام الغزالي أن المعاني باعتبار أسبابها المدركة لها ثلاثة: محسوسة ومتخيلة ومعقولة، وأن إدراك المعاني المجردة يكون بالعقل[١]، وذكر ابن خلدون أن "الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس، وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره، وإنما يتميز الإنسان عنها بإدراك الكليّات وهي مجردة من المحسوسات"[٢]، فالتجريد إذن يمثل ترقيًا في الإدراك من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزء إلى الكل.

ومن هنا فإن الأصل أن يراعى في تجريد هذه الظواهر بُعْدُ الملاحظة الذاتية المتعلق بالإدراك السمعي (الحسي) من جهة، والقدرة على توظيفها في الخطاب اللغوي من جهة أخرى، وأن توصف الظواهر بناء على ذلك؛ لأن هذا الجانب هو الذي يُمْكن من خلاله تحديد الظاهرة، وإصدار الأحكام المعيارية المتعلقة بها، وإخضاعها للتعلّم والتعليم.

وقد كان الأمر كذلك في البداية، حيث لم تكن الظواهر التطريزية بمفاهيمها الحديثة رهينة القياس الفيزيائي، بل كان تصوّرها لا ينفك عن إدراكها السمعي وملاحظة طرائقها في الكلام المنطوق.

في ما يتعلق بالنبر ذكر جان كانتينو أن أوّل تصوّر للنبر في العربية بمعناه الحديث كان في أوائل القرن السابع عشر، ويتمثل في تلك القاعدة التي استلهمها المستشرقان "كرشتن" و"إربانيوس" من خلال سماعهما للمثقفين المصريين، بحيث يقع النبر على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها، وإذا خَلَت الكلمة من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها، ثم إن النبرة لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة، وذلك نحو (يقاتلوا، وقاتل، ولم يقاتلوا) النبرة على (قا)"[٣]،

(١) ينظر: المستصفى ص ٧٩ - ٨٠
(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٦٢/٢
(٣) ينظر: دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو ص ١٩٤ – ١٩٥.

فالقاعدة استلهمها المستشرقان بناء على ملاحظتهما بإدراكهما السمعي لنظام النبر في نطق المثقفين المصريين.

وأوَّل تصوّر لموازين التنغيم في العربية يذكر الدكتور تمام حسان أنه اعتمد فيه على الملاحظة الذاتية، وأنه أعقب ذلك بتجارب المعمل التي أيّدت بعض نتائجه فقط، حيث يقول: "وفي دراستي للهجة عدن وقفت بواسطة الملاحظة التي أيدتها تجارب المعمل في بعض نتائجها على نظام التنغيم في اللهجة"[(١)]، فتجارب العمل لم يكن لها دخل في تجريد الظاهرة بداية، ثم هي لم تتسق مع موازين التجريد الذاتي اتساقًا تامًّا.

وأما التزمين فله حديث مفصّل في تراثنا، ولا سيما عند علماء التجويد في حديثهم عن مراتب القراءة وأزمنة المدود والغنن وطرائق قياسها إلى غير ذلك.

فالأصل إذن ألا يكون القياس الفيزيائي جزءًا من التجريد، غاية ما هنالك أن يكون وسيلة من الوسائل التي يمكن الاستئناس بها في تفسير الظاهرة من طريق مختلفة.

ومن عجبٍ أن يترقى القياس الفيزيائي ويستحكم أمره، فيتجاوز حدود تفسير الظاهرة من طريق مختلفة إلى أن يكون وسيلة للتجريد، ومدخلًا إلى الإعجاز، وحاكمًا على الذوق بتأكيد النتائج تارة أو تصحيح مسارها تارة أخرى، كما يقول الدكتور بسام بركة: "علم الأصوات الآلي أو التجريبي الذي يساند الدراسات الصوتية بتجارب تتم على أجهزة وآلات حديثة، فيصحح مسار هذه الدراسات أويؤكد نتائجها"[(٢)]، أوكما يذكر أحد الباحثين - عادًّا التجرد من بقايا الحسّ الذوقي فضيلة من فضائل المد الحداثي- حيث يقول في دراسته الفيزيائية المتعلقة بالحركات العربية: "في غمرة هذا المد الحداثي تغيرت نبرة الخطاب الصوتي العربي، وتجردت من بقايا الحس الذوقي الذي استبد بسلطة إصدار الأحكام الظنية ردحًا من الزمن في غياب المرجعيات التقنية ... فكان أن تهيأت لاحتواء مشروع البحث العلمي الذي دعا إليه دي سوسير بالانعتاق من أسر التوجه

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٢٨

(٢) علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، د/ بسام بركة – لبنان. ص ٧

التسنيني الذاتي والاسترشاد بمكتسبات الزمن التكنولوجي"[١].

بل وصلت سَطْوة القياس الفيزيائي إلى حدّ إصدار أحكام معيارية على أداء القراء من خلاله، فيذكر بعض الباحثين – مثلًا - أن معدّل الغنة زاد عن مقدار الحركتين في قراءة الشيخ المنشاوي[٢]. وتذكر إحدى الباحثات أن الشيخ الحصري وقع منه ما لا يتلاءم مع المعنى من نبر الكلمة في أربع كلمات من سورة الممتحنة، وهي السورة التي تعلقت بها دراستها[٣]. وسيأتي هذا وغيره في مبحث الأحكام المعيارية.

بل تصل تلك السطوة إلى حد نفي وجود النبر أصلًا عن الكلمات التي لا تحتوي على مدّ زمني[٤].

وبيت القصيد من كل ذلك أن أقرر أن ترقّي القياس الفيزيائي من تفسير الظواهر التطريزية إلى أن يكون جزءًا من تجريدها كان له أثره السلبي في ذلك التجريد، كما كان له أثره على ذوقها وإدراكها، حيث إن نتائجه غاب عنها الإدراك الحسي الذي ينبغي أن يكون منطلقًا للتجريد، فالمعرفة هي "الصورة الحاصلة في عقل الإنسان عن الموجود المحسوس"[٥]، فالحس مصدر ذو أثر معتبر في جميع أنواع المعرفة البشرية، حتى غير المحسوس منها[٦].

وإننا- مع ترقّي القياس الفيزيائي إلى تجاوز الإدراك الحسي في تجريد الظواهر التطريزية، وما كان لذلك من آثار سلبية على ذوق هذه الظواهر وإدراكها- يجدر بنا أن نتساءل عن مدى كفاية الملاحظة الذاتية في ذوق هذه الظواهر وضبطها وتوظيفها في الخطاب اللغوي، ثم عن ذلك الأثر الفيزيائي الحداثي الطارئ، أكانت آثاره هداية إلى هذه الظواهر؟ أم جناية على الفطرة

(١) فيزياء الحركات العربية ، إبراهيمي بوداود، ص ١٦٥- ١٦٦
(٢) ينظر: من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د/ أحمد عبد الموجود ، ص ٧٥٦
(٣) ينظر: من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة د/ أنهار عبد التواب، ص ٤٩٢ - ٤٩٣
(٤) ينظر: نغم اللغة العربية، د/ رضا زلاقي، ص ٢٠٣. والنبر عند مجودي القرآن الكريم، د/عايدة إسعادي، ص ١٣٩.
(٥) الخطوط الرئيسية لنظرية المعرفة، لابن عقيل الظاهري ص ٢٩
(٦) ينظر: المرجع السابق: ص ٣٢

وذائقتها؟ أوكانت تجردًا من بقايا الحس الذوقي؟ أم تجريدًا للذوق من الحس؟ أويمكن للقياس الفيزيائي أن يعود أدراجه إلى ما وراء التجريد فيكتفي بتفسير ما اتسق مع تجاربه من أحكام، ويعود تجريد هذه الظواهر إحساسًا بها إدراكًا وعقلًا؟.

المبحث الثاني
مفاهيم الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية

من آثار اختلاف دراسة الظواهر التطريزية بين الملاحظة الذاتية والقياس الفيزيائي - ما بدا في مفاهيم هذه الظواهر.

فظاهرة النبر لها كثير من التعريفات المتعلقة بالملاحظة الذاتية، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة؛ ليجعله بارزًا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه النبر"[(١)]، ومن ذلك ما ذكره الدكتور سعد مصلوح أن النبر "انطباع سمعي ببروز أحد مقاطع الحدث اللغوي، وتمتعه بقوة إسماع نسبي أكبر مما يجاوره من مقاطع"[(٢)]، ومن ذلك تعريف الدكتور وليد مقبل صاحب نظرية الميزان النبري، حيث عرفه بقوله: "النبر: هو قوة مدركة لحركة أو أكثر في كل تتابع مقارنة بالحركات المجاورة لها في التتابع نفسه"[(٣)]، وعرفه بعضهم بأنه "رفع الصوت في حروف المد والحركات لسبب معنوي أو لفظي"[(٤)].

ولا نكاد نعدم أثرًا للقياس الفيزيائي في مفهوم النبر، بإدخال مصطلحات العناصر الفيزيائية المؤثرة في حدوث النبر في مفهومه، ومن ذلك قول جان كانتينو: "النبرة: إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته، أو مداه، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة"[(٥)].

ويلاحظ في كل تعريفات النبر مقارنة المقطع المنبور بغيره من المقاطع في الكلمة، وفي هذا تساهل في بيان الحد لا يخفى، حيث لا يستقيم ذلك مع العناصر الفيزيائية المكونة للنبر (الطول والشدة والتردد) من جهة، ولا مع تفاوت المقاطع

(١) الأصوات اللغوية ص ٩٨
(٢) دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة ص ١٦٧
(٣) هذا المفهوم استقر عليه الدكتور وليد مقبل في الأكاديمية العالمية للنبر واستقامة الأداء القرآني التي يديرها ويشرف عليها.
(٤) ينظر: النبر في قراءة القرآن المبين، علي بن سعد الغامدي ص ٤
(٥) دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو ص ١٩٤.

طولًا وقصرًا من جهة أخرى، ولا مع تفاوت الأصوات قوة وضعفًا من جهة ثالثة؛ إذ تقتضي قواعد النبر في كلمتي (هنا) و(فمِي) – مثلًا- أن يقع النبر على المقطع القصير (الهاء) (والفاء)، ويقتضي المفهوم أن يكون المقطع القصير المكون من أضعف الحروف جرسًا – أكثر طولًا وشدة وترددًا من المقطع المتوسط المفتوح المكون من أقوى الحروف جرسًا، وفي ظني أن المخرج من هذا التعارض يكون بحضور البعد النسبي في تحديد المقطع المنبور، لكن بمقارنة المقطع المنبور بذاته في حالة عدم النبر، وهذا بناء على أن الكلمة التي تحتوي على أكثر من مقطع يمكن أداؤها بأكثر من طريقة، وقد اقترحت بناء على هذه المشكلة مفهومًا للنبر يتوافق من بعده الفسيولوجي، والفيزيائي، والإدراكي، من دون تعارض، على النحو التالي: النبر هو (بروز صوتي لمقطع من المقاطع، مقارنة بذاته، مع اختلاف طريقة الأداء للتتابع الذي يمثل المقطع المنبور أحد عناصره، على أن يكون ما يجاوره من مقاطع في حالته الأضعف مقارنة بذاته مع اختلاف طريقة الأداء) [(١)].

وفي التنغيم بدا أثر الملاحظة الذاتية في كثير من التعريفات التي تعلقت به، ومن ذلك أنه "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[(٢)]، وأنه "تغيرات تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود، لبيان مشاعر الفرح والغضب، والنفي والإثبات والتهكم والاستهزاء والاستغراب"[(٣)].

وفي المقابل من ذلك نجد في بعض التعريفات أثرًا ظاهرًا للبعد الفيزيائي، سواء كان ذلك في الإشارة إلى العناصر الفيزيائية، أو في بيان تعانقه مع الظواهر التطريزية الأخرى، فقد عرف الدكتور رضوان القضماوي التنغيم قائلًا: "هو متابعات مطردة لمقاطع متعددة في الكلمة تتميز بألوان صوتية تنتج عن الاختلاف في تناسب تردد ذبذبات جرس الصوت الأساسي Frequence وقوة الصوت Timbe وكثافته intensive وطوله"[(٤)]، وذكر بعض الباحثين أن "مفهوم التنغيم لا

(١) ينظر: النبر في القرآن الكريم: صوره ورؤاه وقضاياه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين ص ١٩٤

(٢) مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان، ص ١٦٤

(٣) في البحث الصوتي عند العرب د/ خليل إبراهيم العطية، ص ٦٣

(٤) مدخل إلى اللسانيات د/ رضوان القضماوي ص ١٠٥ نقلًا عن مصطلح التنغيم في التراث =

ينحصر في مجرد ارتفاع النغمة وانخفاضها أثناء الكلام، بل يلف المنطوق كله بما يشتمل عليه من وقفات ونبرات واستغراق زمن في أداء المقاطع، وعليه فإن هناك علاقة بين التنغيم وظواهر ما فوق التقطيع الأخرى التي تتضافر معه لأداء التركيب المنطوق"[١].

وفي بيان مفهوم التزمين يقول الدكتور عبد العزيز علام: " تزمين الكلام هو السرعة التي ينطق بها ويدرك عليها، وليس المراد بالسرعة ما يقابل البطء، وإنما هو مطلق السرعة التي يمكن وصفها بالإبطاء أو الإسراع"[٢]. وذكر الدكتور أبو السعود الفخراني أنه "توزيع زمن التكلّم على أصوات المنطوق توزيعًا يتفق مع نظام اللّغة وقوانين الكلام فيها، فينال كلّ صوت من أصوات المنطوق ما له من كم زمني"[٣].

وكلا التعريفين فيه ما يتعلق بالملاحظة الذاتية، حيث ذكر الأول الإدراك، وذكر الثاني مراعاة نظام اللّغة وقوانين الكلام فيها. وإن لم يكن عند القدماء فكرة (توزيع زمن التكلّم على أصوات المنطوق) مع إدراكهم تزمين الكلام من حيث يوصف بالسرعة والبطء، كما في بيانهم مراتب التلاوة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لو عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ[٤]، ووُصف جعفر بن يحيى أنه كان أنطق الناس، حيث جمع الهدوء والتمهل[٥]. بل كان ذلك مستقرًّا في نفوسهم حتى جعلوه ميزانًا للوقت عندهم، فعن أنس بن مالك عن زيد بن ثابت - رضي الله عنهما- قال: تَسَحَّرْنَا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ثم قام إلى الصلاة. قال أنس: قلت لزيد: كم كان بين الأذان وَالسَّحُورِ؟ قال: قدر خمسين آية[٦].

وفي المقابل من ذلك فرّق العلماء المحدثون بين مفاهيم مصطلحات ترتبط بالتزمين، وهو أثر من آثار القياس الفيزيائي للتزمين، منها:

=

اللساني العربي د/ جيلالي بن يشو ص ١٣٧

(١) التنغيم ودلالته في أسلوب الاستفهام، سلمى بن تيطراوي- وردة جزار، ص ٨٤

(٢) من التزمين، ص ٢٤.

(٣) البحث اللغوي عند إخوان الصفا د/ أبو السعود أحمد الفخراني ص ١٣٥

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٩٨، رقم الحديث (٢٤٩٣).

(٥) ينظر: البيان والتبيين ١٠٦/١

(٦) صحيح البخاري ١/ ٢١٠، رقم الحديث (٥٥٠)، وصحيح مسلم ٢/ ٧٧١، رقم الحديث (١٠٩٧).

طول الصوت: وهو "الزّمن الّذي يستغرقه النّطق بهذا الصّوت مقدرًا عادة بأجزاء من الثّانية" [(١)].

والكم الزمني: وهو القدر الذي يستغرقه نطق الصوت من الزمن، ويختلف باختلاف موقعية الحرف من الكلمة (عامل المكان)، والسياق الصوتي (عامل الجوار) والنبر حيث إن الصوت المنبور أطول من غير المنبور (عامل النبر)، ومن العلماء من يستعمل هذا المصطلح للدلالة على الزمن الفعلي للصوت اللغوي، ومنهم من يستعمله في الزمن النسبي، والنسبية تعني القيم الزمنية المتوسطة للصوت، أو بالنسبة إلى نطق الأصوات المجاورة، أو التمييز بين الطول والقصر من حيث إدراك الأذن [(٢)].

والكمية: أي الطول النسبي، ويفرق بين "الكم الزمني" و"الكمية" بأن الكمية هي الطول النسبي، أما الكم الزمني فهو الطول الفعلي، كما أن الاختلافات في الكمية ذات دلالة لغوية، أما في الكم فليست كذلك[(٣)].

تعقيب:

يبدو لي أن حضور البعد الفيزيائي في مفاهيم الظواهر التطريزية لم يكن أمرًا ذا جدوى، سواء في إيضاح تلك المفاهيم، أو في إمكان ذوقها وإدراكها، فما فائدة أن تقاس أزمنة الكلام بأجزاء الثانية؟ وما جدوى مجاوزة حدود ذوق النطق والإدراك السمعي، وحشو المفاهيم بمصطلحات البعد الفيزيائي، كشدة الصوت ومداه في النبر، وتردده وكثافته وطوله في التنغيم؟، وإنّا لنجد بين (ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام) و(متابعات مطردة لمقاطع متعددة في الكلمة تتميز بألوان صوتية تنتج عن الاختلاف في تناسب تردد ذبذبات جرس الصوت الأساسي Frequence وقوة الصوت Timbe وكثافته intensive وطوله) فرقًا في البساطة والوضوح والإدراك.

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس، ص ٨٠
(٢) ينظر: من التزمين، ص ١٥٩ : ١٦١.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ١٦٧

المبحث الثالث

أقسام الظواهر التطريزية وقوانينها بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية

لا تخفى آثار القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية في أقسام الظواهر التطريزية وقوانينها، فقد رصدْتُ محاولات متعددة ذات علاقة بالملاحظة الذاتية لضبط ظاهرة النبر في القرآن الكريم، أعمقها وأوفاها نظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب[١]، ويتصل بذلك قوانين النبر في العربية، وأشهرها قواعد الدكتور إبراهيم أنيس، التي استنبطها من نطق قراء القرآن الكريم في مصر، يقول: "وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما يُنطق بها في العصور الإسلامية الأولى ... أما كما ينطق بها القراء الآن في مصر فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذ عنه"[٢]، ويمكن إجمال قوانين النبر عنده في ما يأتي:

يقع النبر على[٣]:

- المقطع الأخير إن كان من النوعين الرابع: ص ح ح ص، والخامس: ص ح ص ص.
- إذا لم تنته الكلمة بالمقطع الرابع أو الخامس وقع على المقطع قبل الأخير إن كان متوسطًا.
- إن كان المقطع قبل الأخير قصيرًا ومسبوقًا بمثله وقع النبر على الثالث من الآخر.
- إن كان المقطع قبل الأخير قصيرًا ومسبوقًا بمثليه وقع النبر على الثالث من الآخر.

(١) ينظر في تفصيل ذلك: النبر في القرآن الكريم: صوره ورؤاه وقضاياه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين من ص ٣٨٧ إلى ص ٤٤٤.
(٢) الأصوات اللغوية ص ٩٩
(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٩٩ - ١٠٠

وفي ما يتعلق بالدراسة المختبرية هناك دراسات عديدة حددت مواطن النبر وقوانينه في القرآن الكريم واللغة العربية باستخدام أجهزة التحليل الصوتي وبرامجه، كما فعل الدكتور عبد الله ربيع[١]، والدكتورة عائشة التركاوي[٢]، وغيرهما.

ومن هؤلاء الدكتور رضا زلاقي الذي يقول بعد دراسة مختبرية للنبر في التفعيلات العروضية: إن من قواعد نبر الشعر ما يأتي:

- محدد النبر في الشعر هو الطول الزمني كما هو الحال في نبر اللغة.
- لا يقع النبر على مقطع قصير.
- لا يقع النبر إلا على مقاطع من نوع (ص ح ص) و (ص ح ح)[٣].

أما عن أقسام النبر التي لها علاقة بالملاحظة الذاتية فينتمي إليها تقسيمه بحسب الوحدة التي يقع عليها النبر إلى أربعة أقسام هي: نبر المقطع، والكلمة، والمجموعة الكلامية، والجملة[٤]، ومن ذلك تقسيمه إلى نبر صرفي (كلمي)، ونبر دلالي (سياقي)[٥] أو إلحاحي كما يسميه بعضهم[٦]. وبعضهم يقسمه إلى نبر معنوي ولفظي[٧].

وللقياس الفيزيائي أثر بارز في تقسيم النبر، حيث قسم اللغويون المحدثون النبر – بناء على الوسائل الفيزيائية المصاحبة له- إلى أربعة أقسام:

---

(١) في رسالته: عن النبر في نطق العربية الفصحى بالعالم العربي المعاصر د/عبد الله ربيع، رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية بالقاهرة – قسم أصول اللغة ١٩٧٣م.

(٢) في رسالتها: النبر والتنغيم في القرآن الكريم دراسة لغوية حاسوبية د /عائشة يوسف عبد الحميد التركاوي رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ٢٠١٣م.

(٣) ينظر: نغم اللغة العربية، د/ رضا زلاقي، ص ٢٠٣.

(٤) ينظر: علم الصوتيات د/عبد العزيز علام ود/عبد الله ربيع ص ٣٣٢ وما بعدها.

(٥) ينظر: مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان ص ١٦١.

(٦) ينظر: نبر الكلمة وقواعده د/ عبد الحميد زاهيد ص ٢٠

(٧) ينظر: النبر في قراءة القرآن المبين، علي بن سعد الغامدي ص ٨

١- نبر الشدة.

٢- نبر النغمة، أو النبر الموسيقي.

٣- بر الزمن، أو نبر الطول.

٤- نبر اللون[١].

ومن ذلك أيضًا قول إحدى الباحثات في نتائجها بعد دراسة مختبرية: "ينقسم النبر في القرآن الكريم إلى نبر قوي، ونبر متوسط، ونبر ضعيف ....، ويمكن ترتيب درجة قوة النبر حسب النتائج المحصل عليها في دراستنا كالآتي:

النبر القوي: المد اللازم - المد المنفصل- مد الصلة الكبرى.

النبر المتوسط: ويشمل المد العارض للسكون- مد البدل.

النبر الضعيف: ويشمل نبر المد الطبيعي ومد الصلة الصغرى ومد اللين ومد العوض"[٢].

وفي التنغيم اعتمد الدكتور تمام حسان في دراسته للهجة عدن على الملاحظة الذاتية، قبل القياس الفيزيائي، ورأى أن كل ما في اللغة العربية من أنماط التنغيم ينحصر في ستة نماذج، على النحو التالي:

١- الإيجابي الهابط. ٢- الإيجابي الصاعد. ٣- النسبي الهابط.

٤- النسبي الصاعد. ٥- السلبي الهابط. ٦- السلبي الصاعد.

ومن أهم القواعد التي ذكرها أن الكلام قد يتم فيكوِّن مجموعة معنوية، وهو في نفس الوقت مجموعة أو مجموعات كلامية، ولا بد للمجموعة المعنوية من أن تنتهي بنغمة هابطة في التقرير والطلب، والاستفهام غير المبدوء بـ (هل) والهمزة، أما في الاستفهام المبدوء بـ (هل) والهمزة، وفي المجموعة الكلامية التي لم يتم بها المعنى، فالنغمة النهائية صاعدة أو ثابتة، أعلى مما قبلها[٣].

(١) ينظر: علم الصوتيات ص ٣٣٠ – ٣٣١ وعلم الأصوات مالمبرج ص ١٨٧

(٢) النبر عند مجودي القرآن الكريم د/عايدة إسعادي، ص ١٤٠.

(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٦٤ - ١٦٩

وقسّم الدكتور كمال بشر التنغيم إلى نغمتين فقط، الأولى هابطة، وتكون في الجمل التقريرية، والاستفهامية بالأدوات الخاصة، والطلبية. والثانية صاعدة، وتكون في الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم، والجمل المعلقة[١].

وقد استعان بعض الباحثين بالعلامات التجويدية الأدائية، ولا سيما علامتي (صلي) و(ج)؛ للتوجيه النغمي في آيات سورة التحريم[٢]، وبيّن أثر السياق في صعود النغمة وهبوطها في أثناء تحليله، حيث ذكر أن نغمة النداء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [التحريم: ١] هابطة تتناسب مع سياق العتاب[٣]، في حين ذكر أن نغمة النداء في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾ [التحريم: ٦] و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحريم:٧] صاعدة[٤].

ومن نماذج أنماط التنغيم من خلال الدراسة المختبرية ما قرره د/ سلمان العاني - بعد دراسة تحليلية معملية لمجموعة كلمات وأشباه جمل قصيرة، مسجلة بصوت المؤلف وراوٍ آخر – حيث يرى النظام النغمي يتمثل في أربعة مستويات نسبية لدرجة الصوت، وتعرف عنده بالأرقام:

الرقم (١) المستوى الأوّل (درجة منخفضة).

الرقم (٢) المستوى الثاني (درجة متوسطة).

الرقم (٣) المستوى الثالث (درجة عالية).

الرقم (٤) المستوى الرابع (درجة عالية جدًا).

وبناء على ذلك بيّن الدكتور سلمان أن المستوى الرابع محدود الوجود والتوزيع، وأكثر ما يكون في الألفاظ الانفعالية، كالدهشة الكبيرة أو الحزن أو الفرح الشديدين، وأن تنغيم الجملة الخبرية (٢ – ٢- ١) أو (٢ – ٣- ١)، وجملة الأمر (٢ – ٣- ١)، والاستفهام (٣ – ٢- ١) (٢ – ٣- ١)، والنداء (٢ – ٣- ١)[٥].

(١) ينظر: علم الأصوات د/كمال بشر ص ٥٣٤ : ٥٣٧ .
(٢) الاتساق الصوتي في سورة التحريم محمد عباس معن، ص ٣٧٥.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٧.
(٤) المرجع السابق، ص ٣٩١.
(٥) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة، ص ١٣٩ - ١٤٤

في حين قرر بعض الباحثين أن "التنغيم درجات لا حصر لها، ولا تخضع لهذا الخط القسري من التقسيم، ما دام التنغيم يعبر عن مراد المتكلم وحالاته النفسية والانفعالية"[(١)]. وتذكر إحدى الباحثات بعد دراسة حاسوبية لأنماط التنغيم الصوتي في شعر السياب أن التنغيم في جانبه الشعوري ينقل شحنة انفعالية ما؛ لذا لم يرتبط نمط معيّن من التنغيم بجملة بعينها، وهذا خلاف ما هو شائع من تنميط الجمل بأنماط محددة[(٢)].

وفي التزمين أدرك علماء التجويد كثيرًا من المسائل المتعلقة بالتزمين بالملاحظة الذاتية، وحددوا قوانينها وطرائقها، فبينوا المدود وأنواعها وأزمنتها، ومراتب الغنن وأزمنتها، وتمام الحركات وأجزاءها، ومراتب القراءة من حدر وتدوير وتحقيق، إلى غير ذلك مما لا يحتاج إلى بيان.

أما في الدراسة المختبرية فنجد محاولات لتحديد زمن الحركة بأجزاء الثانية، ومحاولات أخرى للتقنين لمواضع الإسراع والإبطاء في الكلام، تقول إحدى الباحثات: "أبرز البحث أن سرعة التزمين تختلف تبعًا لاختلاف درجة أهمية المجموعات الكلامية، فالمجموعة التي تكون أكثر أهمية، أو التي تمثل نواة الفكرة – تكون أبطأ من غيرها؛ ولهذا جاءت جملة الشرط أبطأ من الجواب في سياق، كجملة الشرط ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ الممتحنة: ١٠ فإنها أبطأ من جملة الجواب ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ الممتحنة: ١٠، بينما جاءت جملة الجواب أبطأ في سياق آخر، كجملة الجواب ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ الممتحنة: ١٠ فهي أبطأ من جملة الشرط ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الممتحنة: ١٠"[(٣)].

علمًا بأن الفروق التزمينية التي بنت عليها الباحثة ذلك لا تصل إلى نصف فونيم في الثانية، فهي لا تكاد تذكر، ولا تدرك، ولا تقصد من القارئ، حيث ورد تزمينها في دراسة الباحثة على النحو التالي[(٤)]:

(١) الاتساق الصوتي في سورة التحريم ، ص ٣٨١.
(٢) ينظر: أنماط التنغيم الصوتي في شعر السياب (دراسة حاسوبية) د/ بشرى عبد الرازق العذاري، بحث منشور في صحيفة دار العلوم، عدد ٥٠، ديسمبر ٢٠١٤م. ص ١٢٧
(٣) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة أنهار محمد كامل ص ٤٩٠
(٤) ينظر: المرجع السابق. ص ٤٢٨

الجملة	تزمينها
﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾	٥.٦ – ٥.٨ ف/ث
﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾	٦ ف/ث
﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾	٥.٤ ف/ث
﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾	٥ ف/ث

هذا بالإضافة إلى أن حدود وصف التزمين بالسرعة أو الإبطاء متفاوتة عند القارئ الواحد، فقد وُصِف تزمين الشيخ الحصري في دراسة بأنه بطيء وقد بلغ (٣.٩٤ ف/ث)[١]، وفي دراسة أخرى وصف بأنه بطيء كذلك وقد بلغ (٥.٢١ ف/ث)[٢]، ويذكر باحث ثالث أن حدود التزمين البطيء عند الشيخ من (٥.٨٤ ف/ث) إلى (٦.١٧ ف/ث)[٣].

---

(١) ينظر: من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم سورتي الحديد والمرسلات، د/محمد حسان محمد أحمد، ص ٣٥٧

(٢) ينظر: من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم من أول سورة الملك إلى آخر سورة نوح ، د/عائشة سالم ص ٨٩٠

(٣) ينظر: السمات الأدائية للجملة الأمرية، د/ نادر زين العرب، ص ٢٨١

المبحث الرابع

الأحكام المعيارية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية

تشير الأحكام المعيارية المتعلقة بالظواهر التطريزية إلى أن قوانينها مستقرة في الذوق الفطري للغة، وإن لم تكن قد دوّنت بعد، فعلى القارئ أن يقرأ بلحون العرب مع تحسين اللفظ والصوت ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، يقول ابن الجزري: "فإن كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير الذي هو التوسط بين الحالتين مرتلًا مجوّدًا بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة"[(١)].

وقد أحسن الإمام عبد الوهاب القرطبي في تفريقه بين البلاغة والفصاحة بأن البلاغة هي اختيار الكلمة، وأن الفصاحة اختيار النطق الصحيح للكلمة، حيث يقول: "فإن العلماء وإن اختلفوا في حقيقة الفصاحة والبلاغة، هل هما مختلفان أو متفقان؟ فإن القول الذي اعتمد عليه جلّتُهم أن البلاغة تقال فيما يرجع إلى اختيار الألفاظ، والفصاحة تقال فيما يرجع إلى اختيار النطق بالألفاظ"[(٢)]، ثم يقول: "الفصاحة أيضًا ليست اقتضاب الألفاظ على ما يسمح به عفو الطباع الرذيلة، وتسبق إليه الألسنة المدخولة، مما يخالف عرف العرب ووضعها، وإنما الفصاحة إيصال اللفظ إلى السمع في أحسن صورة من النطق"[(٣)].

أمَّا ما يتعلق بالنبر فيمكن الوقوف على تنبيهات أدائية تتصل بموازين الكلمات، بل بآثار دلالية للعدول عن الأداء المستقيم.

من ذلك ما ذكره الإمام القرطبي أن الحركات في أواخر الكلمة ينبغي أن تطفف، ولا يطغى بها[(٤)]. وهي إشارة دقيقة تتفق مع قوانين النبر عند المحدثين، حيث إن المقطع القصير في آخر الكلمة لا يتحمل نبرًا، وعلة ذلك منع حدوث الدمج بين الكلمات؛ فتصبح الكلمتان المنفصلتان كلمة واحدة، جاء في تفسير ابن أبي

(١) النشر في القراءات العشر ٢٠٥/١
(٢) الموضح في التجويد عبد الوهاب القرطبي تحقيق د/غانم قدوري الحمد ص ٦٦
(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٤) ينظر: المرجع السابق ص١٩٣

حاتم (توفي ٣٢٧هـ) "عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)﴾ [طه: ١٠١]، قال: ليس هي (وساءلهم) موصولة، ينبغي أن يقطع، فإنك إن وصلت لَمْ تُفهم، وليس بها خفاء ساء لهم"[(١)]. فقد أشار إلى فرق أدائي مؤثر في الإفهام بين (وساء لهم) من السوء، و(ساءلهم) من المساءلة.

ومن ذلك تنبيه الشيخ محمود علي بسة المصري إلى أن بعض القراء يخطئ في أداء بعض الكلمات، بما يكاد يخرجها عن معانيها المرادة منها؛ لتساهله وعدم تحريه النطق السليم بها، والذى لو وُفِّقَ إليه، وعود نفسه لدل على حساسية أذنه، وحسن ذوقه، وفهمه لمعانيها، وذلك نحو ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥] ﴿يَعِظُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٤] ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] [(٢)].

ويتصل بذلك أن هناك خمسة آثار مباشرة للنبر متفق عليها بين الباحثين في النبر اللغوي والنبر الشعري، يمكن البناء عليها في إصدار أحكام تقويمية تتعلق بالنبر، وهذه الآثار هي[(٣)]:

١ – **اكتمال الحركة:** حيث تكون الحركة المنبورة مكتملة، بخلاف الحركة غير المنبورة التي تكون غير مكتملة، نحو (ومضت) من اللمعان في حال نبر حركة الواو، و(ومضت) (الواو + مضت) من الذهاب، في حال نبر الميم.

٢ – **مطل الحركة:** حيث يؤدي النبر إلى مطل الحركة القصيرة فتصبح طويلة، كما أن عدم النبر قد يؤدي إلى تقصير الحركة الطويلة، كما في (يقول) و (لم يقل).

٣- **التشديد :** حيث يكون التشديد أثرًا مباشرًا للنبر عند الوقف، وقد ذكر الدكتور عبد الله ربيع أمثلة لذلك، نحو: (سَكَتْ، سَكَتْ) (أَرَقْ، أَرَقّْ)[(٤)].

٤- **الهائية :** حيث ينتج عن نبر حرف المد – الحركة الطويلة – توهم وجود هاء،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٣٤/٧.
(٢) ينظر: العميد في علم التجويد تحقيق محمد الصادق قمحاوى ص ١٠.
(٣) ينظر: دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر ٢٨ : ٣٧
(٤) ينظر: عن النبر في نطق العربية الفصحى ص ٣٠

يقول هنري فليش: "في اللهجة السورية اللبنانية: ضربوا darabu تعني مجرد وقوع الحدث من الفاعلين ...، وأما ضربوا - مع نبر المقطع الأخير، فإنها تعني وقوع الحدث من الفاعلين على فرد معين ...، فإيقاع النبر على المقطع النهائي معناه وجود نظام مباشر ضميري، مذكر مفرد، وهو الضمير المتصل في العربية الفصحى"(١).

٥ - **التهميز** : والمقصود به توهم وجود الهمز عند نبر حرف المد (الحركة الطويلة).

أما في ما يتعلق بالأحكام المعيارية المتعلقة بالقياس الفيزيائي للنبر، فمنه قول إحدى الباحثات: "ساعدتنا الدراسة النقدية لأداء الشيخ الحصري على الكشف عما كان ملائمًا للمعنى، وما لم يكن كذلك، وذلك في الملامح الأدائية التي طبقت على تلاوته:...، وفي نبر الآية لم يقع من غير المتلائم مع المعنى إلا نبر الآية الثامنة- أي من سورة الممتحنة-، وفي نبر الكلمات لم يقع منه ما هو خلاف الأولى من جهة المعنى إلا أربع كلمات هي: ﴿**سَوَاءَ**﴾ [الممتحنة: ١] ﴿**لَقَدْ**﴾الممتحنة: ٦] ﴿**فَلَا**﴾ [الممتحنة: ١٠] من قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٠] ﴿**فَبَايِعْهُنَّ**﴾ [الممتحنة: ١٢]" (٢).

والغريب في هذا أن الباحثة توظّف دلالة السياق في تحديد موضع نبر الكلمة، فهي ترى مثلًا في ﴿**فَبَايِعْهُنَّ**﴾ أنه ينبغي وقوع النبر على الفاء التي تربط الجواب بالشرط؛ لتفيد سرعة تنفيذ الأمر بمبايعة النساء(٣)، وهذا يتنافى مع قوانين النبر وميزان الكلمة.

وتصدر إحدى الباحثات- من خلال تحليل فيزيائي- حكمًا بنفي النبر عن الكلمات الخالية من المد، تقول: "أثبتت نتائج التحليل المختبري والإدراك السمعي أن كل كلمة خالية من المد الزمني فهي كلمة غير منبورة، ولا يمكن أن تكون موضعًا للبروز الصوتي"(٤)، ومن المسلم به أن قوانين النبر في العربية لم تختص

(١) العربية الفصحى ص ٢٤٣
(٢) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة د/ أنهار عبد التواب، ص ٤٩٢ - ٤٩٣
(٣) المرجع السابق، ص ٤٢٧
(٤) النبر عند مجودي القرآن الكريم د/عايدة إسعادي، ص ١٣٩.

بالكلمات الممدودة دون غيرها.

من جهة أخرى تحدث العلماء عن أوصاف معيبة في القراءة تتصل من قريب بالتنغيم، ومن ذلك ما ذكره الإمام عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ) أن خمسة أضرب من القراءة نهى أئمةُ القراءة عن الإقراء بها، وهي: الترعيد: وهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطربًا كأنه يرتعد من برد أو ألم. والترقيص: وهو أن يروم السكوت على السواكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة. والتطريب: وهو أن يتنغم بالقراءة ويترنم، ويزيد في المد في موضعه وفي غير موضعه، وربما أتى في ذلك بما لا يجوز في العربية، وربما دخل ذلك على من يقرأ بالتمطيط. والتلحين: وهو الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر. والتحزين: وهو ترك القارئ طباعه وعادته في الدرس إذا تلا، فيلين الصوت، ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجري ذلك مجرى الرياء، لا يؤخذ به، ولا يقرأ على الشيوخ إلا بغيره[(١)]. وقد نص الإمام الهمذاني على أن من اللحن الخفي ما " لا تعرف كيفيته، ولا تدرك حقيقته إلا بالمشافهة، وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية، وذلك نحو مقادير المدات ... والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام ... إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط"[(٢)].

ومن ذلك قول الإمام الديريني :

واللَّحْـنُ قـد يَعْـرِض في التكبـيرِ كمـــدِّه في لَفْظِـــهِ المَقْصُـــورِ
حتّـى يصـيرَ لفظُـهُ اسـتفهامًا وذاكَ جهـلٌ يُفسـد المَرامـا[(٣)]

كما وقفت على أحكام عامة تتمثل في تقسيم القراء من حيث مراعاة التنغيم في القراءة، ومن ذلك ما ذكره بعض الباحثين أنه من خلال السماع من بعض المتخصصين ومحاورتهم فإنهم يصنفون القراء أربعة أنواع، قارئ نغمي، كالشيخ المنشاوي، أي أنه بطبيعته نغمي، ونغمي قارئ، كالشيخ مصطفى إسماعيل، أي أنه دارس للنغمات والمقامات، فهو يطوعها لخدمة القرآن الكريم، وقارئ لا نغمي،

(١) ينظر: الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، ص ٢١١ - ٢١٣
(٢) التمهيد في معرفة التجويد للهمذاني، ص ٢٠٧.
(٣) الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي، ص ١٥٤ - ١٥٥.

كالشيخ الحصري، أي أن قراءته بعيدة عن النغم، فهو يلتزم بقواعد التجويد دون الإتيان بأي لمحات مقامية أو نغمية. ونغمي لا قارئ، كالقراء المعاصرين، أي أنهم يلتزمون بالنغم والمقامات بصورة حرفية حتى لو أثر ذلك أو أخل بقواعد القراءة السليمة لكتاب الله عز وجل[١].

وهو تقسيم غير موضوعي؛ إذ ليس له ضابط يستند إليه.

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الدكتور عبد الله المفلح أنه بعد استقراء قراءات شرائح متعددة من القراء والمقرئين والأئمة تبين أنه يمكن تقسيمهم إلى خمسة أنواع، كما يأتي:

١ - من القراء من يقع تحت سطوة مشاعره وانفعالاته، فيوصل للمستمع مشاعره وانفعالاته أكثر من معاني الآيات.

٢ - ومنهم من يؤثر في المستمعين من دون أن يكون هناك ارتباط بين تنغيمه والآيات التي يقرؤها.

٣ - ومنهم من يفهم ما يقرأ من آيات ويتأثر بها، فينقل تأثره للمستمع.

٤ – ومنهم من يعرف المعنى ويفهمه وليس عنده من المقومات الصوتية ما يساعده على إيصاله للمستمعين.

٥ - ومنهم من يقرأ على نمط واحد دون أن يضع في اعتباره أهمية التأثير في المستمعين[٢].

وفي المقابل من ذلك نجد في الدراسات الفيزيائية أحكامًا معيارية تتجاوز وصف الأداء ، ومن ذلك:

- يقول أحد الباحثين معترضًا على تنغيم الشيخ المنشاوي لقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)﴾ [القيامة: ١٦]: "المقصود من النهي إذن في (لا

(١) ينظر: الخصائص الصوتية في قراءة الشيخ محمد صديق المنشاوي د/محمد ربيع محمد عبد السلام ص ٢٦٢

(٢) ينظر: موسوعة النبر والتنغيم ٣٤/١ : ٣٦

تحرك) الرحمة والشفقة، وإذا ما عرضنا أسلوب النهي (لا تحرك) على أسماعنا وفق تلاوة الشيخ المنشاوي نرى أن الشيخ المنشاوي يقرأ النهي المتمثل في (لا تحرك) بصوت عال، وتنغيم مرتفع عن بقية أجزاء الآية إذ إن أعلى قيمة للمنحنى التنغيمي في هذه الآية كانت عند أسلوب النهي، والتي بلغت (٢٣٠,٢ HZ) وهي أعلى قمة للمنحني في الآية كلها.... وفي هذا الموضع لا بد من خفض الصوت؛ لأن المقام مقام رحمة وشفقة، ولا يمكن تصور ذلك المعنى إلا بالتنغيم الهادئ المتعاطف"[١].

ويذكر باحث آخر من خلال التحليل الفيزيائي للتنغيم أن "قراءة محمد صديق المنشاوي كانت قراءة تفسيرية، انسجم فيها أداؤه التنغيمي مع دلالات الاستفهام، وجسد المعاني بإعطاء كل غرض من الأغراض الواردة التنغيم الملائم الذي أسهم في إيضاح المعنى"[٢].

- وتقول إحدى الباحثات: "ساعدتنا الدراسة النقدية لأداء الشيخ الحصري على الكشف عما كان ملائمًا للمعنى، وما لم يكن كذلك، وذلك في الملامح الأدائية التي طبقت على تلاوته: ففي التنغيم ونبر الجملة وقع التلاؤم مع المعنى في إحدى وتسعين (٩١) مجموعة كلامية، أما غير المتلائم فلم يقع إلا في ثلاث (٣) مجموعات كلامية "[٣].

وما يقتضيه البحث وتدعو إليه أمانة العلم أن نقرر أن "أولى خطوات دراسة التنغيم أو غيره تبدأ بالملاحظة"[٤]، ومن ثم فإن هذه الأحكام المعيارية على أداء القراء سلبًا وإيجابًا- ولا سيما ما كان من خلال القياس الفيزيائي- هي أحكام ليست موضوعية، وأن نقرر كذلك أنه ليس لدينا نموذج أدائي تنغيمي للقرآن الكريم، وإن وجد شيء من ذلك في مواضع ليست بالكثيرة في تلاوة بعض القراء، وأن إدراك النماذج التنغيمية لا يمكن تلمّسه من خلال الصور الطيفية للتحليل الفيزيائي، بل لا بد من وعي يتجاوز حالة الغربة عن الإحساس به، وصولًا إلى

(١) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د/ نادر زين العرب، ص ٨٤
(٢) التنغيم ودلالته في أسلوب الاستفهام، سلمى بن تيطراوي- وردة جزار، ص ٨٥.
(٣) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة ص ٤٩٢ - ٤٩٣
(٤) البينيّة لعلوم اللغة، مجدي رشاد، ص ٣٤

تفهّم معاني الأساليب المنطوقة من خلاله، ولا يمكن أن يكون ذلك من دون قصد من القارئ، بل لا بد من تفاعل يبرز المعنى المقصود، وبخاصة في ما يحتمل تنوعًا في الأسلوب من الآيات، كقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨)﴾ [الحاقة: ٢٨]، وقوله جل شأنه﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)﴾ [المسد: ٢]، حيث نص العلماء على احتمال النفي والاستفهام في الموضعين[١].

وفي ظني أن في التراث من إشارات متصلة بالتنغيم ما هو أولى في إصدار أحكام تقويمية تتصل بأداء قارئ معين إن كان لنا أن نحكم على ذلك؛ إذ هي إشارات تتصل بالمعنى من جهة، وتميز بين المتشابهات من جهة أخرى، فضلًا عن أنها تُدْرَك بالحس، ويمكن تعلمها وتعليمها، ومن تلك الإشارات – مثلًا- قول الإمام السمرقندي (ت ٧٨٠هـ): "ويرفع الصوت بـ (ما) يعلم أنّها نافية، وإذا خفض الصوت يعلم أنّها خبريّة، وإذا جعلها بين بين يُعلم أنّها استفهاميّة، وهذه العادة جارية في جميع الكلام، وفي جميع الألسن"[٢].

ومنها ما نبه إليه الإمام النسفي في قوله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦)﴾ [يوسف: ٦٦]، وذلك بأن يقصد القارئ بقوة النغمة اسم الله تعالى ليبين أنه بداية جملة مقول القول، وليس فاعلًا[٣].

ومن ذلك ما وجّه به ابن جني قراءة الأعرج ومسلم بن جندب وأبى الزناد: «يا حسرة»، ساكنة الهاء، من قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، حيث اعتذر بعادة العرب في تنغيم كلامها إسراعًا وإبطاء عن مخالفة قوانين الوقف ومتعلقات الإعراب، يقول: "أما «يا حسره»، بالهاء ساكنة ففيه النظر؛ وذلك أن قوله: {عَلَى الْعِبادِ} متعلق بها، أو صفة لها. وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه، ووجه ذلك عندي ما أذكره؛ وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتمدته ولا معتزمة عليه، أسرعت فيه، ولم تتأنّ على اللفظ المعبّر به عنه" ويفرق في هذا السياق بين يمين اللغو (لا والله) و(بلى والله) التي تقتضي إسراعًا في لفظه،

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن للعكبري، ٢٦٨/٢، الدر المصون للسمين الحلبي، ١٤٣/١١.
(٢) روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد لوحة ٢٦
(٣) ينظر: تفسير النسفي ١٢٣/٢

واليمين المؤكدة التي تقتضي التثبت والإشباع والمماطلة، ويبين أثر إشباع المدات في القافية، إلى غير ذلك مما أورده، ثم يقول: "وإذا كان جميع ما أوردناه ونحوه مما استطلناه فحذفناه يدل أن الأصوات تابعة للمعاني ... علمت أن قراءة من قرأ: «يا حسره على العباد»، بالهاء ساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير، فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر، المتعجب منه، الدال على أنه قد بهره، وملك عليه لفظه وخاطره. ثم قال من بعد: «على العباد»، عاذرًا نفسه في الوقوف على الموصول دون صلته لما كان فيه، ودالاً للسامع على أنه إنما تجشم ذلك - على حاجة الموصول إلى صلته وضعف الإعراب وتحجره على جملته- ليفيد السامع منه ذهاب الصورة بالناطق، ولا يجف ذلك عليك على ما به من ظاهر انتقاض صنعته، فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى"[(١)].

ومن ذلك ما ذكره الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) من أنه ينبغي على القارئ "إذا قرأ قول الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ [مريم: ٨٨]، ونحو ذلك من الآيات ينبغي أن يخفض بها صوته كذا كان إبراهيم النخعي -رضي الله عنه- يفعل"[(٢)]، ومع ذلك فقد نبه بعض الباحثين إلى أن مثل هذه الآيات يمكن أن تُقرأ بنغمة مرتفعة إشارة إلى الاستنكار الشديد لهذه الادعاءات والافتراءات الباطلة على الله تعالى[(٣)].

ونلاحظ في إشارات التراث التنغيمية اتصالها بالأساليب تارة كالفرق بين الاستفهام والخبر والنفي، وتعلقها بالتفريق بين المواقع الإعرابية تارة أخرى، كما في تنبيه الإمام النسفي السابق، وتعلقها بشيء من آداب التلاوة أحيانًا كما في خفض الصوت عند قراءة ما فيه افتراء على الله، وهي إشارات لا يمكن إغفالها في تصور نموذج أدائي تنغيمي للقرآن الكريم.

(١) المحتسب ٢/ ٢٠٨ - ٢١١

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن تحقيق محمد الحجار ص ١٢٠.

(٣) ينظر: الأثر الإيقاعي للتنغيم في سورة المائدة، محمد بولخطوط، ص ٨٥

أما عن الأحكام المعيارية المتعلقة بالملاحظة الذاتية في التزمين فمنها ما أورده ابن الجزري عن "مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يُقرئ رجلًا، فقرأ الرجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال: كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فمدوها"[١].

وقد أشار العلماء إلى الأخطاء المتعلقة بأزمنة المدود من قصر الممدود ومد المقصور، وبينوا ما لذلك من أثر على المعنى، كما بينوا أحكام الصلاة بتلك الأخطاء[٢].

وفي ما يتعلق بالقياس الفيزيائي وقفت على أحكام معيارية منها ما يتصل بتقويم أداء بعض القراء بناء على القياس الفيزيائي، كما في قول إحدى الباحثات: "ساعدتنا الدراسة النقدية لأداء الشيخ الحصري على الكشف عما كان ملائمًا للمعنى، وما لم يكن كذلك، ... وفي التزمين لم يقع من غير المتلائم مع المعنى إلا تزمين هذه المجموعات الكلامية، وهي: تزمين ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] مع ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠] وتزمين ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] مع ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ، وتزمين ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]" [٣].

ويذكر أحد الباحثين أن الشيخ المنشاوي اختلس حركات الكسرة القصيرة والطويلة والفتحة الطويلة والضمة الطويلة؛ بسبب الاقتصاد في المجهود العضلي، وتأثره ببيئته التي عاش فيها بعض الشيء[٤].

ويقول باحث آخر بعد أن ذكر أن متوسط المد الطبيعي عند الشيخ المنشاوي= (٠,٥٣) ثانية تقريبًا: "زاد معدل الغنة في قراءة الشيخ عن مقدار الحركتين، حيث

(١) النشر في القراءات العشر ٣١٥/١ - ٣١٦
(٢) ينظر: الفتاوى التاتارخانية ٤٩١/١ – ٤٩٢، والطارئ على زلة القارئ لابن طولون ص ٤٢
(٣) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة ص ٤٩٢ - ٤٩٣
(٤) ينظر: الخصائص الصوتية في قراءة الشيخ محمد صديق المنشاوي ص ٢٦٥

بلغ متوسط الغنة المشددة (٠,٨٧) ثانية، وبلغ متوسط الإخفاء (٠,٨٥) ثانية، وبلغ متوسط إدغام المثلين (٠,٨٦) ثانية، وبلغ متوسط الإدغام بغنة (٠,٩٠) ثانية، وبلغ متوسط الإقلاب (٠,٩٢) ثانية، ومن ثم فالغنة عند الشيخ المنشاوي = (٠,٨٨) ثانية تقريبًا"[١].

هذا بالإضافة إلى إصدار أحكام تزمينية عامة بناء على القياس الفيزيائي، كما في قول بعض الباحثين: "لا تماثل فيزيائيًّا وكميًّا بين صوتين متماثلين نطقًا وصفة ومخرجًا، وإن تجاورا في كلمة واحدة، وإن تُوُهّم ذلك سماعيًّا، وآية ذلك صوت/ت/ في /اقتتل/ فالمقطع(/ت١/ = ٧٥.٠٥ db) ، و(/ت٢/ = ٧٥.١٩ db)"[٢] .

وهذا حكم لا يمكن إطلاقه وتعميمه من خلال هذا المثال.

---

(١) من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د/ أحمد عبد الموجود ، ص ٧٥٦

(٢) مواضع نبر الكلمة، نعيمة كناز، وخليفة صحراوي. ص ٢٨

المبحث الخامس
مشكلات تجريد الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية

أولًا: مشكلات التجريد المتعلقة بالملاحظة الذاتية

تمثل الظواهر التطريزية حقائق لغوية قبل ظهور مصطلحاتها الدالة عليها، فهي شيء كامن في فطرية اللغة، مخزون في ذهن الناطق بلغته الأم، ومع ذلك فإن وصفها وتجريدها وإخضاعها للتعلم والتعليم يبدو مرامًا صعبًا؛ من حيث يحتاج إلى حس صوتي يستطيع تحديد الفروق الصوتية الدقيقة بين المتشابهات كلمات وجملًا، وإلى التفريق بين الأوصاف المشتركة بين المتكلمين التي تنضبط من خلالها هذه الظواهر من جهة، والفروق الفردية من جهة أخرى.

ومع ما يحيط بإدراك هذه الظواهر من صعوبة، فقد أمكن الوصول إلى أبعاد تجريدية ضابطة لها في العربية؛ اعتمادًا على الذائقة اللغوية، في كثير من الدراسات، وأبرز ما يمكن الإشارة إليه في هذا السبيل:

نظرية الميزان النبري للدكتور وليد مقبل الديب التي تمثل بعدًا تجريديًّا معياريًّا لنبر الكلمة، وموسوعة النبر والتنغيم للدكتور عبد الله المفلح، التي تعلقت نماذجها وضوابطها الأدائية بنبر الجملة والتنغيم. وكلا العملين نظَّر بما يمكن تعلمه وتعليمه وتوظيفه في الأداء ذوقًا وإدراكًا.

من قواعد النبر في نظرية الميزان النبري

إذا تكونت الكلمة من تتابع حركتين فسكون (ـــ ـــ ه)، أو حركتين (ـــ ـــ) تفرق قواعد الميزان النبري بين حرف المعنى وحرف المبنى في الكلمة، فالكلمات التي تبدأ بحرف مبنى ينبر فيها الحرف الأول على صيغة (فَـعِـــل) بالضغط على حركة الفاء، نحو (قَـسَتْ - عَـــسَى - غَـــدًا) أما الكلمات التي تبدأ بحرف معنى نحو (فَـقَـدْ- لِكَيْ - فَـذُو) فينبر فيها الحرف الثاني على صيغة (فَـعِـــل) بالضغط على حركة العين[1].

(١) ينظر : النبر في القرآن الكريم نظرية جديدة في استقامة الأداء القرآني، د/ وليد مقبل ص ٢٦ و ٣٣.

وهاك نموذجًا من تنغيم الاستفهام في موسوعة النبر والتنغيم

يرى الدكتور عبد الله المفلح في تنغيم جملة الاستفهام ب (أم) المتصلة أن تكون نغمة الاستفهام صاعدة فوق الكلمة التي قبل (أم) المتصلة إذا كان معنى الاستفهام من مجموعة الشدة والقوة وإثارة الانفعال، فيمكن الوقوف على تلك الكلمة بالنغمة الصاعدة، وذلك كقول الله تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩)**﴾ [يوسف: ٣٩] فتكون النغمة صاعدة على (خير) عند الوقف عليها، ومن الخطأ الوقوف على كلمة (متفرقون)؛ لأنه وقوف قبل استكمال الخبر، وتستمر النغمة الصاعدة إلى نهاية جملة الاستفهام كاملة[(١)].

ثانيًا: مشكلات التجريد المتعلقة بالقياس الفيزيائي

تبدو مشكلات عديدة في القياس الفيزيائي المتعلق بالظواهر التطريزية، ومن ذلك:

- عدم الدقة في القياس، حيث يعتمد القياس على تحديد الباحث مع الصعوبات التي تقف أمام ذلك في أجهزة التحليل وبرامجه، فقد ذكر الدكتور عبد العزيز علام من مشكلات الدراسة الفيزيائية المتعلقة بالتزمين صعوبة تحديد بداية الصوت ونهايته في ذات الصورة الطيفية، يقول: "ومما يزيد الأمر تعقيدًا وصعوبة أيضًا أنه عند قياس التزمين (أكويستيكيًّا) بواسطة أجهزة التحليل والتصوير التي تفسر لنا التزمين على صورة مساحات زمنية، تلك التي بمقدار زيادة حجمها وقلة عددها يكون التزمين بطيئًا، وبمقدار نقص حجمها وزيادة عددها يكون التزمين سريعًا - توجد مناطق أو مساحات تمثل مرحلة الانتقال بين كل صوت والذي يليه، وهذه المناطق تنشأ فسيولوجيًّا من زيادة درجة التلاحم والدمج بين التحركات التقطيعية في الكلام، ومن الصعوبة بمكان تحديد ما إذا كانت هذه المساحة تنتمي إلى الصوت السابق أو إلى الصوت التالي، أو أنها مشتركة بينهما ... مما يصعب معه تعيين بداية الصوت ونهايته"[(٢)].

(١) ينظر: موسوعة النبر والتنغيم ٢/ ٥١

(٢) من التزمين ص ٣٢ - ٣٣

وذكر بعض الباحثين من مشكلات البرنامج (برات) أنه في بعض المواضع ينحدر خط التنغيم أو يهبط هبوطًا سحيقًا، وقد يعلو علوًّا كبيرًا بما لا يعكس خط تنغيم الآية حقيقة، بسبب أخطاء في البرنامج[١]، كما ذكرت إحدى الباحثات أن "البرنامج لا يتيح لنا معرفة أين يبدأ المنطوق وأين ينتهي، فالأمر يرجع إلى عمل الباحث"[٢]، وتلك مشكلات حقيقة بإعادة النظر في تلك الدراسات وجدواها.

ومن الغريب بعد كل ذلك أن يذكر بعض الباحثين أن البناء الصوتي القديم بدا متصدعًا؛ لافتقاره إلى الوسائل التقنية التي من شأنها أن تعين الباحث على التثبت من الحقائق المادية للصوت اللغوي[٣]، أو أن يدعي بعض الباحثين أن هذه البرامج "مكنت الباحث للوصول إلى نتائج يقينية وحقيقة علمية بعد ما كانت ملاحظات ذوقية ظنية"[٤]، كما تقول إحدى الباحثات: "أكد البحث على أن استخدام الوسائل التجريبية الحديثة تيسر على الباحثين دراسة الملامح الأدائية، وتسهم في الوصول إلى نتائج أكثر دقة وأعم فائدة، تخدم القرآن الكريم من جهة، والعلوم الإنسانية من جهة أخرى، وقد لمسنا ذلك في دراستنا لملامح الطول والتنغيم والنبر بنوعيه والتزمين والإيقاع في ترتيل الشيخ الحصري"[٥].

- ويتصل بما سبق أننا نجد أنفسنا أمام نتائج غير موضوعية في الدراسات المختبرية.

ومن ذلك قول إحدى الباحثات: "تبين من خلال الدراسة الأداء السليم للشيخ (الحصري)؛ حيث حقق مخارج الحروف تحقيقًا سليمًا، وراعى ظواهر النبر والتنغيم والوقف والتزمين؛ مصداقًا لقول النبي ﷺ: "زينوا القرآن بأصواتكم"، فحصل له بأدائه حسن الأداء، والنطق الصحيح، ومراعاة قواعد التلاوة، وحسن التراكيب اللغوية التي تعطي إيقاعًا معينًا ... فمعظم أداءات الشيخ جاءت متناسبة

(١) ينظر: من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د/ أحمد عبد الموجود ص ٧٥٧
(٢) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة ص (د) من المقدمة.
(٣) فيزياء الحركات العربية د/ إبراهيمي بوداود ص ٢٤
(٤) المعالجة الآلية للبنى التطريزية "التنغيم أنموذجًا" بوغاري عائشة، ص ٢٨٣.
(٥) من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة ص ٤٨٩

مع دلالات الآيات التي أشار إليها المفسرون، وكأن الشيخ كان يقرأ في كتب التفسير قبل ترتيله، وكأن المفسرين كانوا يستمعون لترتيل الشيخ أثناء تفسيرهم، وبهذا يمكن القول: إن الشيخ (الحصري) الأكثر إجادة لأحكام التلاوة" [(١)].

هذا مع أن الباحثة نفسها تقول في الصعوبات التي واجهتها في بحثها: "ما عانيته من صعوبة في بعض المواضع تتمثل في ربط أصوات الآيات القرآنية بالدلالة، وربط المقاطع الصوتية بالدلالة، وربط الملامح الأدائية والتي منها (النبر، والتنغيم، والتزمين) بالدلالة"[(٢)]. فكيف تستقيم هذه الصعوبة إذا ما كان الأداء عذبًا سلسلًا مبرزًا المعنى من دون حاجة إلى الرجوع إلى تفسير؟!

- كما أن الإغراق في مراعاة القياسات الفيزيائية في تجريد ظواهر اللغة سبيل إلى كثرة التقسيمات والتفريعات دون ما جدوى، ومن ذلك – مثلًا- محاولة الدكتور سمير شريف إستيتية إضافة صورة مقطعية جديدة تتكون من (صامت + حركة قصيرة + نصف صائت)، نحو (لو) والمقطع الأول من(ميسرة)، ووصف الدكتور سمير هذا المقطع بأنه مقطع نصف مفتوح، فلا يوصف بأنه مفتوح أو مغلق؛ إذ إن وصفه بالفتح أو الإغلاق غير دقيق من الناحيتين النطقية والأكوستيكية، وبيَّن ذلك بقوله: "وبيان ذلك في أن الحجرة التي يمر منها الهواء عند نطق الياء التي في (مَيْسـرة) أكبر من الحجرة التي يمر منها عند نطق أي صوت احتكاكي، فقد تبلغ ضعفيها أو أكثر، وذلك بحسب طريقة نطق الياء، ولذلك لا يمكن لهذه الحجرة أن تكون كافية لإحداث احتكاك؛ بسبب أن المدى الأفقي للموجة يظل مفتوحًا، وإن لم يكن إلى الدرجة التي يكون عليها عند نطق الحركات... وما قلناه عن المقطع الذي ينتهي بالياء التي هي نصف حركة، نقوله عن الواو التي هي نصف حركة كذلك، وذلك كما في (لو)"[(٣)]، وقد بدا ذلك الأثر في تقسيم النبر بحسب الوسيلة الفيزيائية المصاحبة له إلى نبر الشدة، ونبر النغمة، ونبر الطول، ونبر اللون، وكل ذلك ليس في الإمكان مراعاته ولا ضبطه أداءً وإدراكًا.

(١) من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د/عائشة سالم ص ٨٨٣
(٢) المرجع السابق ص (ح) من المقدمة.
(٣) الأصوات اللغوية د/سمير شريف إستيتية ٣٠٧ – ٣٠٨.

- تعلق أحكام القياس الفيزيائي بمدونات محددة لأشخاص معينين؛ مما يصعب معه اعتماد تلك المدونات نماذج مؤثرة في استنباط الأحكام والقوانين الأدائية؛ بناء عليها، بل يصعب عدّ هذا الأداء ظاهرة تتكرر أحداثها في اللغة، فحيث لا يوجد وصف مشترك بين الناطقين في أداء الظاهرة، لا مجال حينئذ لتجريدها بعزل أوصافها الضابطة لها، المحددة لطرائقها في الكلام.
- عدم مساوقة القياس الفيزيائي للإدراك السمعي، فقد فرَّق Malmberg بين الحقيقة المدركة والحقيقة المقيسة بقوله: "شاع منذ زمن طويل عند علماء الأصوات المقتدرين أن التحليل الآلي Analyse instrumental هو تكملة شهادة الأذن الناقصة، وأن مجال الآلات يبدأ حيث ينتهي عمل الأذن، وبدأ الصوتيون يدركون مؤخرًا أنه يتعلق بمستويين مختلفين"[(١)].

ويقرر الدكتور عبد الحميد زاهيد بناء على ذلك "أن المستوى الإدراكي والمستوى الأكوستيكي مستويان مختلفان، والعلاقة بينهما معقدة جدًّا، وكل ما أدركته الأذن كارتفاع لا يعني بالضرورة ارتفاعًا في مكوّن أكوستيكي أو آخر"[(٢)]، وقد بدا ذلك الاختلاف في دراسة الدكتور عبد الحميد زاهيد نفسه التي خصصها لبيان العلاقة بين ما هو إدراكي ونطقي وأكوستيكي،

علاقة الفرضية:

تردد الحركة المنبورة أكبر من غير المنبورة بنسبة ٨٣،٣٣%

ضغط الحركة المنبورة أكبر من غير المنبورة بنسبة ٥٥،٥٥%

مدة الحركة المنبورة أكبر من غير المنبورة بنسبة ٣٣،٨٨%

علاقة التساوي:

تردد الحركة المنبورة يساوي غير المنبورة بنسبة ١١،١١%

ضغط الحركة المنبورة يساوي غير المنبورة بنسبة ١٦،١٦%

(١)Analyse instrumental et structurale des faits d'accent : pp ٤٦٦ – ٤٦٧
نقلًا عن: نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية د/ عبد الحميد زاهيد، ص ١٥
(٢) نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية د/ عبد الحميد زاهيد، ص ١٥

مدة الحركة المنبورة تساوي غير المنبورة بنسبة ٣٣،٣٣%

العلاقة العكسية:

تردد الحركة المنبورة أقل من غير المنبورة بنسبة ٥،٥٥%

ضغط الحركة المنبورة أقل من غير المنبورة بنسبة ٢٧،٧٧%

مدة الحركة المنبورة أقل من غير المنبورة بنسبة ٢٧،٧٧%[١]

ومن الأدلة على ذلك الاختلاف أيضًا أن برامج التحليل الصوتي تعتمد في قياساتها على المكون المادي الفيزيائي المتمثل في (المدة – الشدة - التردد الأساسي)، وهي أمور اختلفت بحسب تنوع المنطوق في دراسات متعددة، فالدكتور خالد السيد محمد رفعت خلص في رسالته (المتعلقات الفيزيائية للنبر في العامية المصرية)[٢] إلى أن التردد الأساس هو أكثر العوامل أهمية وثباتًا في حدوث النبر[٣]. في حين يرى بعض الباحثين ارتباط النبر بالشدة، كالدكتور أحمد سلامة الجنادبة[٤]، والدكتور خالد العبسي[٥]. ويرى آخرون الطول العامل الأساس في النبر، كالدكتور رضا زلاقي[٦].

- ومن جهة أخرى فإن الأذن تستقبل انطباعات عامة تضم التردد والضغط والمدة والجرس، ولكنها غير قادة على معرفة محددة لكل عامل من هذه العوامل[٧].
- القياس الفيزيائي لا يمكن ذوقه ولا مراعاته ولا توظيفه في الخطاب؛ لأنه غير مدرك، وقد ذكر ابن خلدون "أن تجريد المعقولات من الموجودات

(١) ينظر: نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية د/عبد الحميد زاهيد ص ٦٩
(٢) رسالة (ماجستير) باللغة الإنجليزية في جامعة الإسكندرية. كلية الآداب، مصر، ١٩٨٧م.
(٣) أفدت هذا من مستخلص الرسالة على موقع اتحاد الجامعات المصرية.
(٤) ينظر: نبر الاسم الجامد والمشتق د/أحمد سلامة الجنادبة ص ٣٦
(٥) ينظر: النبر في العربية د/خالد عبد الحليم العبسي ص ٤٠٢.
(٦) ينظر: ظاهرة النبر في العربية الفصحى نقد وتقويم، د/رضا زلاقي ص ٣٧١.
(٧) نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية ، ص ١٤

الخارجية الشخصية إنما هو ممكن فيما هو مدرك لنا"[١]. وهذه مشكلة تتعارض مع الغاية من تجريد الظواهر، فما فائدة تحديد مفاهيم الظواهر والحديث عنها وتطبيقها عن طريق الآلة إذا لم يمكن إخضاعها للتعليم والتعلم، وتوظيفها في إنماء الذوق اللغوي لدى المتكلم، وآنس هنا بقول الدكتور الطناحي: "ولو كان لي من الأمر شيء لأتيت بشيخ من علماء القراءات في كل قسم من أقسام اللغة العربية بجامعاتنا؛ ليعمل على تدريب الطلبة على الأداء الصحيح والنطق السليم، بجانب معامل الأصوات الحديثة، ... بل إني أذهب بعيدًا في هذا التمني، وهو أن يعين شيخ من هؤلاء القراء مشرفًا خارجيًّا مع المشرف الأكاديمي لكل رسالة علمية (ماجستير أو دكتوراه) تتصل بعلم القراءات من قريب أو بعيد"[٢].

- ذكر الدكتور عبد الله ربيع أن من مشكلاتنا الصوتية عدم العناية الكافية في دراسات أئمتنا السابقين بظواهر الجانب الأدائي المتمثل في الفونيمات الثانوية (النبر، والتنغيم، والتزمين، ولون الصوت)، وليس معنى ذلك أن العربية الفصحى قديمًا خلت من هذه العناصر، أو أن شيوخ العربية قديمًا لم يدركوا هذه الظواهر، غاية ما هنالك أن القدماء عدوها من الأمور التي تكتسب بالمشافهة ولا تحتاج إلى وصف وتقنين[٣].

وتعقبه الدكتور محمد محمد حسين بقوله: " وكل هذه المسائل أو المشكلات - كما يسميها – قد عالجها -على أتم وجه وأوفاه- علم التجويد بشكله التطبيقي، الذي يعالج فيه الشيخ لسان تلميذه، ولا يجيزه بالقراءة أو الإقراء حتى يرضى عن انضباطه في الأداء على الوجه الصحيح في كل ما سبق ذكره من الظواهر الصوتية، وقد مر على ذلك أربعة عشر قرنًا"[٤].

ثم يقول الدكتور محمد محمد حسين:" لكن هذه المشكلات الخطيرة ... لا

(١) مقدمة ابن خلدون، ٢/ ٣٢٢.

(٢) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي ٢٤٢/١

(٣) ينظر: من مشكلاتنا الصوتية في نطق العربية الفصحى وتعليمها ص ٢٦٧ –٢٦٨

(٤) مقالات في اللغة والأدب د/محمد محمد حسين ص ٧٩

يصح علاجها عند دعاة التغريب إلا بالمعامل والأجهزة الصوتية الدقيقة المعقدة، التي تحصـي الثواني وأجزاء الثواني، وتقدم صورة للكلام في شكل ذبذبات، مسجلة على شريط صوتي، ... ولست أدري ما هي الصورة الصوتية التي يريد أن يعتبرها نموذجية؟ وإذا كانت هذه الصورة التي حفظها التجويد القرآني – وهي الصورة الوحيدة التي وصلتنا بالتوقيف والتلقين المتواتر- فلماذا لا نكتفي بها؟ ولماذا كل هذا العناء لظاهرة عولجت على أوفى صورة بنجاح كامل عبر قرون متطاولة؟"[(١)].

ولست مع الدكتور محمد محمد حسين في ما ذهب إليه؛ فإن الدراية لم تصف كل ما وردت به الرواية وصفًا دقيقًا محكمًا[(٢)]، بل إن من الظواهر ما لم تصفه الدراية أصلًا، وهو ما سوّغ للعلماء إدخال شيء من القياس في القراءة، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي آخِرِ كِتَابِهِ التَّبْصِرَةِ حَيْثُ قَالَ: " فجميع ما ذَكَرْنَاهُ في هذا الْكتاب يَنْقَسِمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ قَرَأْتُ بِهِ وَنَقَلْتُهُ، وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي الْكُتُبِ مَوْجُودٌ، وَقِسْمٌ قَرَأْتُ بِهِ وَأَخَذْتُهُ لَفْظًا أَوْ سَمَاعًا، وَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي الْكُتُبِ، وَقِسْمٌ لَمْ أَقْرَأْ بِهِ وَلَا وَجَدْتُهُ فِي الْكُتُبِ، وَلَكِنْ قِسْتُهُ عَلَى مَا قَرَأْتُ بِهِ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ فِيهِ إِلَّا ذَلِكَ عِنْدَ عَدَمِ الرِّوَايَةِ فِي النَّقْلِ وَالنَّصِّ وَهُوَ الْأَقَلُّ" .[(٣)]وقرر ذلك ابن الجزري بقوله: " إِذَا كَانَ الْقِيَاسُ عَلَى إِجْمَاعٍ انْعَقَدَ، أَوْ عَنْ أَصْلٍ يُعْتَمَدُ، فَيَصِيرُ إِلَيْهِ عِنْدَ عَدَمِ النَّصِّ وَغُمُوضِ وَجْهِ الْأَدَاءِ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَسُوغُ قَبُولُهُ، وَلَا يَنْبَغِي رَدُّهُ، لَا سِيَّمَا فِيمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَتَمَسُّ الْحَاجَةُ؛ مِمَّا يُقَوِّي وَجْهَ التَّرْجِيحِ، وَيُعِينُ عَلَى قُوَّةِ التَّصْحِيحِ، بَلْ قَدْ لَا يُسَمَّى مَا كَانَ كَذَلِكَ قِيَاسًا عَلَى الْوَجْهِ الِاصْطِلَاحِيِّ"[(٤)].

كما أنه لا ينبغي أن تكون مشكلات الدراسة الفيزيائية سبيلًا إلى إهمال هذه الظواهر الأدائية، والعزوف عن ملاحظتها والحديث عنها؛ إذ هي ظواهر لا تعارض ما استقرّ من قوانين الأداء القرآني، بل يمكن توظيفها في تحسين الأداء وإبراز المعنى، كما أنها ظواهر يمكن أن تعالج من دون اعتماد على البعد الفيزيائي، غاية

(١) المرجع السابق: ص ٧٩ – ٨٠
(٢) ينظر في تفصيل علاقة الدراية بالرواية: نبر القرآن الكريم صوره ورؤاه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين ص ٣ وما بعدها.
(٣) التبصرة في القراءات السبع، للإمام مكي، ص ٧٣٦، والنشر ١٨/١
(٤) النشر ١٧/١

ما هنالك أننا بحاجة إلى أن نُيَمِّمَ وجوهنا شطر ما ورد في تراثنا من تلك الإشارات مع كثير من النظر والتأمل، وهذا كفيل بأن يَقِفَنَا على أبعاد واضحة لكثير من هذه الظواهر.

المبحث السادس

تجريد الظواهر التطريزية (غاياته والسبيل إليه)

إن تجريد الظواهر التطريزية ينبغي أن يُفضي إلى غايات ثلاثة، يمكن إيجازها في الآتي:

- أن يكشف عن نظام تلك الظواهر في اللغة بما يحفظها من الاندثار من جهة، ومن التحريف واللحن من جهة أخرى.
- إمكانية إخضاع تلك الظواهر للتعلّم والتعليم من خلاله.
- إمكانية توظيف هذه الظواهر في الخطاب اللغوي أداءً وإدراكًا.

وذلك أمر ممكن إلى حدّ بعيد، وليس مستحيلًا، ولا سيما أن هناك ما يمكن البناء عليه في ذلك من إشارات تراثية، وتنبيهات معاصرة لبعض الشيوخ المتقنين، ومحاولات نظرية وصلت إلى حدود تبدو معالمها واضحة لبعض هذه الظواهر.

وفي ظني أن هناك أمورًا تعين على تحقيق تلك الغاية يمكن الانطلاق منها والبناء عليها، تتمثل في ما يأتي:

١- الوقوف على العلاقة بين الرواية والدراية[(١)]، والتفريق بين ما وصفته الدراية وصفًا ضابطًا كاشفًا عن نظامه وطرائق أدائه من الظواهر، وما لم تُعن به الدراية بحيث يمكن البحث فيه للكشف عن نظامه وطرائق أدائه من الظواهر، من دون أن يتعارض ذلك مع ما استقر وصفه وضبطه.

٢- الإشارات المبثوثة في كتب التراث التي تشير إلى إدراك نظام هذه الظواهر وآثارها في اللغة، ولا ينبغي أن يُقصر النظر حينئذ على السؤال عن وجود إشارات لتلك الظواهر في الدرس التراثي من عدمه، بل يجب أن تُستقصى جوانب توظيف هذه الإشارات بما يوقفنا على آثار تلك الظواهر ويُعيننا على الكشف عن نظامها، فقد وُظّفت بطرائق مختلفة في الدرس التراثي، تنبيهًا على

(١) ينظر في تفصيل علاقة الدراية بالرواية: نبر القرآن الكريم صوره ورؤاه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين ص ٣ وما بعدها.

لحن أدائي، أو وصفًا لطريقة أداء معينة، ومنها ما ورد إلغازًا، وما ورد في طرفة أدبية، إلى غير ذلك، وتلك أمور من الكثرة والسعة بحيث تستحق أن يُخصص لها بحث مستقل لجمعها وبيان طرائقها ووظائفها.

٣- الانطلاق من القرآن الكريم، وهذا يتصل بجزء من السابق، لكن بالإضافة إلى بعض التنبيهات الصوتية الأدائية التي تشير إلى حقائق تتعلق بهذه الظواهر، وإن لم يدركوا مصطلحاتها الدالة عليها.

٤- ويتصل كذلك بما سبق الوقوف على الأخطاء الأدائية التي تُخل بموازين الكلمات وفصاحتها في حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتصحيح تلاوته، ولا سيما عند الأطفال والأعاجم، ومحاولة وصفها وبيان أسبابها وطرائق إصلاحها؛ إذ إن ذلك سبيل إلى الوقوف على الاحتمالات الأدائية والكيفيات الصوتية المختلفة للكلمة القرآنية، سواء منها ما أخلّ بميزان الكلمات نبرًا وتنغيمًا وتزمينًا، وما استقام أداؤه منها، فكل ذلك يجب اعتباره في تجريد الظواهر التطريزية.

٥- مراعاة رسم المصحف وعلاقته بالأداء، ولا سيما ما يتصل بالظواهر التطريزية .[(١)]

٦- بالإضافة إلى ذلك ينبغي مراعاة الاختلافات اللهجية المتعلقة بتلك الظواهر وتوظيفها في تجريد هذه الظواهر.

٧- مراعاة بُعد التكامل المعرفي بين العلوم، ولا سيما اللغوية منها، وذلك بالوقوف على العلاقات الصرفية والنحوية والدلالية وغيرها بتلك الظواهر[(٢)].

---

(١) من الدراسات التي بحثت هذا الجانب، بحث: المقطوع والموصول بين رسم المصحف والأداء اللغوي (مصحف المدينة أنموذجًا) بحث للدكتور وليد مقبل الديب. ولتفصيل الخلاف في علاقة المقطوع والموصول بالأداء ينظر: نبر القرآن الكريم صوره ورؤاه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) من الدراسات التي بحثت هذا الجانب، كتاب: (من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي) د/أحمد كشك، و(الآثار الصرفية والنحوية والدلالية للأداء النطقي للقرآن الكريم)، رسالة ماجستير للدكتور وليد مقبل، في كلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

٨- لا يمكن الانطلاق إلى التجريد من دون اعتبار للآثار السلبية لتلك الظواهر في الخطاب اللغوي، من اكتمال الحركة ومطلها والتشديد والهائية والتهميز[١]، كما سبق بيانه، ويتصل بذلك أثر تلك الظواهر في اختلاف الرواية في الشواهد الشعرية واللغوية[٢]، ثم النظر إلى توظيفها - كذلك- في الألعاب الكلامية اللسانية وما كان له من آثار في الإلغاز والانحراف الدلالي[٣].

٩- البناء على ما سبق من محاولات التجريد، سواء تعلقت تلك المحاولات بعموم اللغة ولهجاتها أو القرآن أو الشعر.

١٠- الانطلاق من الملاحظة الذاتية التي تنبني على الإدراك السمعي والذوق الأدائي، وأن يقتصر دور القياس الفيزيائي على التفسير بعد استقرار التجريد لتلك الظواهر. حيث يمثل مقياس الإدراك السمعي أهمية قصوى في تحديد تلك الظواهر في الكلام، من حيث ارتباط الحكم على المنطوق اللغوي صحة وخطأ بهذا المقياس دون غيره، فليس لأحد أن يحكم على منطوق بالخطأ أو الصواب من دون إدراك لهذا الخطأ، وتحديد لكيفيته. كما أنه لا جدوى من الدراسة المختبرية ما لم تعكس ما هو قائم في الوعي اللغوي عند الناطقين والمستمعين، وأقرر هنا بقناعة ما ذهب إليه الدكتور عبد الكريم القحطان "أن التجارب المختبرية ليس لها جدوى إن لم تؤكد ما يقرره البناء الصوتي الوظيفي للغة، وإذا تمت هذه التجارب من دون إدراك هذا البناء، كما هو

(١) ينظر: دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر ٢٨ : ٣٧

(٢) ذكر ابن جني نماذج لذلك في (باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين)، كاختلاف الرواية بين (كرك لامين) و(كر كلامين)، إلى غير لك، ومنه ما ذكره أبو سعد الآبي المتوفى (٤٢١هـ) أنه قدِم بعضُ الجُّهال إِلَى عالِم، وَسَأَلَهُ عَنْ قَول الشَّاعر: (يَوْم تُبدي لَنَا قتيلةُ عَن جيد) فَقَالَ: مَا العَنْجيدُ؟ وَسَأَلَ عَن قولهِ تَعَالَى: ﴿**والهدْى مَعْكوفًا**﴾ فَقَالَ: مَنْ كَانَ كُوفًا من أَصْحَاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ وَسَأَلَ آخرُ عَن قولِهِمْ: "زاحم بِعَوْد أَوْ دَعْ " فَقَالَ: مَا الأَوْدَع؟. ينظر: الخصائص ٣/ ١٦٨ وما بعدها، ونثر الدر في المحاضرات ٥/ ١٦١.

(٣) ينظر في ذلك كتاب: الألعاب الكلامية اللسانية دراسة صوتية تركيبية، د/ أحمد عبد المجيد هريدي، حيث عقد الفصل الثالث في ألعاب الفصل والوصل ذكر فيه عشرين نصًّا استُخدمت في ألعاب هذا الفصل.

قائم في ممارسة الناس المستخدمين له وفي انطباعاتهم عنه، فليس للتحليل المختبري - مهما تكن دقته - أن يوصلنا إلى ما ليس قائمًا في وعينا"[1].

١١- ويتصل بالسابق تفريغ حدود الظواهر التطريزية وقوانينها وأقسامها من مصطلحات القياس الفيزيائي. بل يبدو لي أنه لا حاجة إلى القياس الفيزيائي أصلًا عندما يتعلق الأمر بمستوى التأليف التعليمي، أما التأليف العلمي فلا بأس أن يشتمل على بحث دقائق تلك الظواهر وعلاقاتها البينية وغير ذلك.

١٢- وأخيرًا وهو أمر يتطلب حديثًا مفصلًا، ينبغي مراعاة أن هناك مساحة من الخلاف في أداء تلك الظواهر عصية على صرامة التقنين، فيجب حينئذ التعامل مع هذه المساحة بحذر، بحيث لا يفضي إلى التكلف بما يصل إلى المبالغة في النكير، ولا إلى التساهل الذي يخل بفصاحة الكلمات ومعانيها أحدهما أو كلاهما. وهذا ما أفصله في ما يأتي.

---

(١) المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربي ص ١١

المبحث السابع

تجريد الظواهر التطريزية بين التكلف والسعة

يقف الباحث في حدود الظواهر التطريزية وضوابطها وعلاقتها باللحن في اللغة العربية – بين إثبات فيه من الصرامة ما لا يخلو من التلكف أحيانًا، وإنكار فيه من الميوعة والتساهل ما لا يخلو من فساد الذوق وضعف الإدراك. ولا يمكن قبول ربط التكلف بالبحث في الظواهر التطريزية في الأداء القرآني، فالشيخ عامر السيد عثمان – مثلًا - الذي قال عنه الدكتور محمود الطناحي: "وكان للشيخ حسّ دقيق جدًّا في تقييم الأصوات والحكم عليها، وقد لا يعرف كثير من الناس أن الشيخ (رحمه الله) درس علم الموسيقى بمعهد فؤاد الأول للموسيقى العربية أول إنشائه"[(١)]، قال عنه الدكتور الطناحي أيضًا: "ومع حرص الشيخ على كمال الأداء وحسن التجويد، فقد كان يعيب على بعض القراء المبالغة في ذلك، ويراه لونًا من التنطع والشقشقة"[(٢)].

وفي ظني أن هناك مساحة من السعة في اللغة عصية على صرامة التقنين، كما أن هناك حدودًا للفطرة اللغوية لا تسمح بإطلاق الإنكار، وفساد الذوق.

ففي النبر وإن كان ينبغي أن يُعلم أنه ما من كلمة في القرآن إلا وفيها نبر اصطلاحيّ كما يقرر الدكتور سعد مصلوح[(٣)]، فليس معنى ذلك أن لكل كلمة في القرآن نبرًا يحدد طريقة أدائها بحيث لا يجوز غيره فيها، بل إن هناك كلمات لا يُخلُّ تغير النبر فيها باستقامة أدائها ولا معناها، نحو (ذلك) (علّم) بنبر المقطع الأول أو الثاني، و(أولئك) (الكافر) بنبر الثاني أو الثالث، إلى غير ذلك من كلمات قريبة من هذا، وينبغي أن نتقبل هذا التنوع الأدائي في ضوء مساحة السعة التي لا يكاد يخلو منها معيار لغوي.

لكن في المقابل من هذا ينبغي أن لا نقرّ من التساهل ما يجعل الكلمة

(١) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي ٢٤٣/١
(٢) المرجع السابق ٢٤٤/١
(٣) ينظر: النبر في قراءة القرآن المبين، علي بن سعد الغامدي ص ٦

القرآنية عرضة للخلل أداء ومعنى، فالإمام حمزة الذي يقول: " إنما أزيد على الغلام في المد ليأتي بالمعنى"[١]، روي عنه كذلك أنه قال: " أن رجلا قرأ عليه، فجعل يمد، فقال له حمزة: لا تفعل، أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص، وما كان فوق الجعودة فهو قطط، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة"[٢].

ومن التساهل مما لا ينبغي أن يقر كذلك ما يتعلق بقطع الموصول كما في نحو (أعمالهم) و (تقوَّله) إذا قرئت كأنها كلمتين (أعمى لهم) و(تقوّ له)، وعكسه كما في (أوحى لها) (وساء لهم)، بحيث تقرآن ككلمة واحدة من (الوحل) (والمساءلة)، ونحو (فقست) بضغط الفاء من الفقس، إلى غير ذلك، حيث إن بعض الناس ينكر على الضابطين استقامة الأداء في هذا بحجة أنه من التكلف، وأن هذه المعاني لا تخطر ببال المستمع. ويجاب عن هذا بما أفاض العلماء في ذكر أحكامه من اللحون بعيدة المعاني عن السياق، ومن ذلك قول الإمام الدهلوي: "إذا وصل حرفًا من كلمة أخرى بأن قرأ (إياك نعبد) ووصل كاف (إياك) بنون (نعبد)، أو قرأ (إنا أعطيناك الكوثر) ووصل كاف (أعطيناك) بألف (الكوثر)، أو قرأ (غير المغضوب عليهم) ووصل الباء بالعين، أو ما أشبه ذلك – فعلى قول بعض العلماء تفسد صلاته"[٣]، ومنه كذلك ما حُكي عن الشيخ عامر السيد عثمان أن أحدهم قرأ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾ [التين: ٦] وخطف (فلهم) خطفة واحدة ضاغطًا على الفاء، بحيث صارت الكلمة كأنها فعل ماض، فقال له الشيخ: (مَفَلَهُمْش) يريد أن يقول: إنه ليس فعلًا، وأن هذه البنية من مقطعين (ف + لهم)[٤]، فليحذر القارئ من التساهل في هذا بحجة أنه من التكلف، وقد قال الإمام الخاقاني – رحمه الله - :

فَـمَا كُـلُّ مَـنْ يَتْلُـو الكِتَـابَ يُقِيمُـهُ وَمَا كُلُّ مَنْ في النَّاسِ يُقْـرِئُهُمْ مُقْـرِي[٥]

وفي التنغيم يقف الباحث على عبارات فيها من شطط الإنكار ما يوهم

(١) النشر ٣٢٧/١
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
(٣) الفتاوى التاتارخانية ٤٩١/١.
(٤) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي ٢٤٣/١
(٥) المنظومة الخاقانية لأبي مزاحم الخاقاني ص ٢٩

بتعارض مراعاة التنغيم مع أحكام التلاوة، يقول الدكتور سعد عبد الله في معرض رده على الدكتور كمال بشر في دعوته إلى مراعاة التنغيم في أداء القرآن: "ولست مع الدكتور كمال بشر في تلاوة القرآن على هذا النحو؛ لأن ذلك يفسد جمال ترتيب[١] الآيات، فكيف نقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أو قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦)﴾ [الأعراف: ٦٦]، ففي الآية الأولى لو قرئت كما يلقى السؤال والجواب لخرجنا بها عن ترتيل القرآن الكريم، وكذلك الآية الثانية، فإن التنغيم يعني أن ينطلق مقول القول بتنغيم صاعد يطغى على جمال النسق القرآني، والخلاصة أن القرآن الكريم بأحكام تجويده وترتيله يجب أن يبقى بعيدًا عن أساليب الكلام المعتاد"[٢]. وهذا لا يمكن التسليم به بحال؛ إذ إن للظواهر التطريزية ولا سيما التنغيم إشارات واضحة في الدرس التراثي، ولم يقل أحد بتعارضها مع أحكام التجويد أو تقريبها أداء كلام الله من أداء كلام الناس، اللهم إلا أن يكون تصور الدكتور سعد عبد الله لدعوة الدكتور كمال بشر تصورًا للغة الخطاب العادي بما فيه من وقف وسكت ومبالغة في رفع الصوت، ولا أظن أن شيئًا من ذلك يمثل مقصد الدكتور كمال بشر، لكن القصد أن يتأثر القارئ ويؤثر من خلال طريقة الأداء، "ومن التنغيم في القرآن قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ [يوسف: ٢٩] فتنغيم كلمة (يوسف) بما يفيد النداء، وتنغيم فعل الأمر (أعرِضْ) بما يفيد الحسم وعلوّ النبرة، في الوقت نفسه تنغيم فعل الأمر (استغفري) بما يفيد اللين، وخفض الصوت يبرز المعنى ويبيّن الفرق في مخاطبة يوسف ومخاطبة امرأة العزيز، أو في مخاطبة المملوك وسيّدة القصر بما يناسب مقام كل منهما"[٣]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: ٧٥] ، بأن "تقرأ جملة (قالوا جزاؤه) بتنغيم الاستفهام، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بتنغيم التقرير"[٤].

(١) هكذا في النقل، ولعله يقصد (ترتيل).
(٢) الأصوات العربية د/ سعد عبد الله الغريبي، ص ٥٨ – ٥٩.
(٣) دراسات في الدلالة والمعجم د/ رجب عبد الجواد ص ١٢ - ١٣.
(٤) دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر ص ٣٦٨.

وقد صنف أبو عبد الله التيمي الأصبهاني، وهو إمام في القراءات كبير مشهور، قال عنه أبو نعيم الأصبهاني: ما أعلم أحدًا أعلم منه في وقته في فنه، يعني القراءات - صنف كتابًا في جواز قراءة القرآن على طريق المخاطبة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وقيل: سنة اثنتين وأربعين ومائتين[١]، فإنه من المقرر أن (الكيفيات الصوتية) من نبر وتنغيم وغير ذلك – ضابطها قواعد التجويد[٢]، وما خالف منها قواعد التجويد لا اعتداد به ولا التفات إليه؛ إذ المعوّل عليه في إصدار الأحكام المعيارية أحكام التجويد قبل كل شيء.

وفي المقابل من هذا نقف على عبارات تبدو منها صرامة التقنين للتنغيم كما في قول الدكتور تمام حسان: ولا بد للمجموعة المعنوية من أن تنتهي بنغمة هابطة في التقرير والطلب، والاستفهام غير المبدوء بـ (هل) والهمزة، أما في الاستفهام المبدوء بـ (هل) والهمزة، وفي المجموعة الكلامية التي لم يتم بها المعنى، فالنغمة النهائية صاعدة أو ثابتة، أعلى مما قبلها[٣].

وفي ظني أنه لا ينبغي التسليم بصرامة التقنين لظاهرة التنغيم، فقد ذكر ماريوباي أنه "يوجد تنوع كبير بين الأفراد في ذلك (أي في طرائق التنغيم ودرجاته) ومن الأسلم ألا يحاول المرء وضع قانون صارم يحدد طريقة النطق"[٤]. بل إننا نجد أنماطًا تنغيمية لبعض الأساليب في العربية الفصحى تتعارض مع قوانين الأداء القرآني، فقد ذكر الدكتور أحمد كشك أن تنغيم أسلوب الشرط في نحو (من يذاكر يحقق الله له النجاح) يكون بتقسيمه نطقيًّا إلى ركنين، (من يذاكر) ويتلو هذا الركن سكتة واضحة، ثم يبدأ الجواب بعدها بوضوح نغمي يحدد المراد من الكلام[٥]؛ فالتنغيم لا يتم اكتشاف دوره وأهميته في التحليل اللغوي من دون ربطه بالفواصل الصوتية[٦]، لكن هذا السكت بين ركني جملة الشرط لا يتفق مع قوانين

(١) ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٢٤.
(٢) ينظر: موسوعة النبر والتنغيم د/ عبد الله المفلح ١/ ٢١٥
(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٦٤ - ١٦٩
(٤) أسس علم اللغة ص ٩٥
(٥) من وظائف الصوت اللغوي ص ٦٦
(٦) ينظر: علم الأصوات د/كمال بشر ص ٥٥٢

الأداء القرآني؛ إذ الوقف على الشرط دون جوابه قبيح عند علماء القراءات .[١]

وفي ذلك ما يشير إلى أن في اللغة مساحة من السعة في استعمال الأنماط التنغيمية عصية على صرامة التقنين، وأن هناك مستويات للفصاحة تتعلق بإجادة إيصال المعنى للمخاطب، وقد قرر بعض الباحثين أن "التنغيم درجات لا حصر لها، ولا تخضع لهذا الخط القسري من التقسيم، ما دام التنغيم يعبر عن مراد المتكلم وحالاته النفسية والانفعالية"[٢]، وذكر باحث آخر أنه "لا يوجد في الوقت الحالي نظام ممكن للتعرف على التنغيم على غرار الأنظمة الموجودة للتعرف على الكلام، ويعود ذلك إلى أنه يتم تشكيل نغمة القول بواسطة عدد كبير من العوامل التي – إلى حد ما- لا يمكن التنبؤ بها"[٣].

وفي التزمين تقاس أزمنة الحركات بالتجزيء الألفي أو المئوي للثانية وفق القياس الفيزيائي[٤]، وفي ضوء ذلك نقف على محاولات لقياس أزمنة المدود والغنن، كما في قول أحد الباحثين: "المد الطبيعي الذي حدد علماء التجويد مقداره بحركتين يساوي (٠,٥٢) ثانية عند الشيخ المنشاوي، ومد البدل ومد العوض المساويان للمد الطبيعي في قواعد علماء التجويد - بلغ متوسط أولهما في قراءة الشيخ (٠,٤٩) ثانية، وبلغ متوسط ثانيهما (٠,٥٨) ثانية، ومد الصلة الصغرى المساوية لهما عند علماء التجويد بلغ متوسطها (٠,٥٣) ثانية، ومن ثم فالحركتان في قراءة الشيخ المنشاوي = (٠,٥٣) ثانية تقريبًا"[٥]، والغريب أن الباحث يبني على هذا نقدًا لأداء الشيخ بأنه زاد على الحركتين في الغنة التي بلغ متوسطها عنده (٠,٨٨) ثانية[٦]، وفي ظني أن القياس الفيزيائي لا يمكن البناء على نتائجه في قياس أزمنة الحركات في الأداء القرآني؛ لما تقرر من أنه لا يمكن فصل الصامت عن الحركة التي يحملها، حيث أظهرت الدراسات الحديثة أن المصوتات لا تنفك عن الصوامت

(١) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ص ٦٧٤
(٢) الاتساق الصوتي في سورة التحريم، ص ٣٨١.
(٣) علم الصوتيات ص ١٤١، نقلًا عن: في علم الأصوات د/عطية سليمان ص ٢٩٤.
(٤) ينظر: الاستغراق الزمني، د/فادية فاروق عبد العزيز، ص ٢٠٨
(٥) من الإعجاز الصوتي في القرآن، د/ أحمد عبد الموجود، ص ٧٥٦
(٦) المرجع السابق نفسه.

في الراسم الطيفي[١]، هذا شيء، وشيء آخر يتعلق بدقة القياس الفيزيائي؛ مما يؤثر في أزمنة الحركات بعوامل لا يمكن مراعاتها، كنوع الصامت السابق واللاحق، وموقعية الحركة، ومراتب القراءة، كما "أن أصوات اللغة تمتلك عناصر طبيعية تجعلها تتمايز بعضها عن بعض في الاستغراق الزمني لكل منها"[٢]، وقد ذكر بعض الباحثين أنه وقف على درجات مختلفة من الطول الزمني للصوائت وفق قانون اللغة العربية (قصيرة = ٠.٠٩٠٠٠ – متوسطة = ٠.١٣٥٠- طويلة = ٠.٢٠٠٠- أطول = ٠.٣٥٠٠) وأن كل نوع من هذه الأنواع يحتوي مستويات مختلفة من درجات الطول؛ تبعًا لنوع الصامت السابق واللاحق لها، وموقعيتها من الكلمة أو الكلام، أولًا أو وسطًا أو آخرًا[٣].

بل إنني أرى أنه إن كان من عذر للباحثين في تلمس ظاهرتي النبر والتنغيم من خلال القياس الفيزيائي؛ حيث لم تحدد أوصاف ضابطة واضحة لتلك الظواهر في تراثنا- فإنه ليس من عذر في تلمس ظاهرة التزمين من خلال القياس الفيزيائي؛ فهي ظاهرة وُصفت وصفًا ضابطًا، ووضعت قوانينها وأسبابها بما يستقيم به الأداء القرآني، وبما لا يمكن الحيد عنه من دون ملاحظته وإدراكه، ومن الأدلة على ذلك أنه ما كادت تزيغ ألسنة أهل المغرب بإسقاط المد الطبيعي في التلاوة، حتى صُنِّفت المصنفات التي تُشنّع عليهم هذا، ومن ذلك كتاب أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي (عرف الند في حكم حذف حرف المد في القراءات والتجويد)، يقول في مقدمته: "ما تمالأ عليه عوام المغرب الأقصى، وأكثر طلبته وفقهائه، وبعض المتساهلين ممن يُعَدّ من مقرئيه وقرائه، من إسقاط المد الطبيعي في محله من القرآن خطأ واضح، ولحن فاضح، لا يختلف في تحريمه اثنان، وما زال المحققون من القراء ينبهون عليه، ويحذرون من التورط في شناعة المصير إليه"[٤].

---

(١) ينظر: Arderson .phonology in the twentieth century؛٤٩ نقلا عن: المقطع الصوتي في تشكيل الإيقاع في القرآن الكريم سورة الرحمن أنموذجا للباحثة كورديا أحمد حسن صالح ص ٣٠٨

(٢) إيقاع الشعر العربي بين الكم والكيف، د/ عبد الحميد عليوة، ص ٦٦

(٣) ينظر: المقطع الصوتي العربي بين الكمية والمدة الزمنية د/ يحيى المباركي، ص ٣٥٩ .

(٤) عرف الند في حكم حذف حرف المد، ص ١٢٨. وللهلالي أيضًا رسالة بعنوان (الزهر =

وبناء على هذا فإن مسألة ضبط أزمنة الحركات وأزمنة المدود لا يمكن اعتماد القياس الفيزيائي في تقنينها وإصدار الأحكام المعيارية المتعلقة بها، فتلك مسألة - كما يقرر حسني شيخ عثمان - "سماعية ذوقية، تتحدد وتستقيم بكثرة السماع، وجودة التلقي من القراء المجودين، والنطق والقراءة والتمرين" [(١)].

=

الربيعي في حكم المد الطبيعي)، وممن ألف في الرد على ذلك الإمام أبو حفص عمر بن عبد الله الفاسي في رسالته (اقتباس أنوار الهدى فيما يتعلق ببعض وجوه الأدا).

(١) حق التلاوة، حسني شيخ عثمان ص ١٥٦ .

الخاتمة

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وجماله، والصلاة والسلام على الحبيب الشفيع سيدنا محمد وعلى آله، وبعد...

فقد استعرض البحث - تحليلًا ونقدًا - نماذج تجريدية لظواهر النبر والتنغيم والتزمين في ضوء اتجاهات بحثية مختلفة، ويمكن الوقوف على خلاصة نتائجه في النقاط الآتية:

- تجريد الظواهر التطريزية بناء على الملاحظة الذاتية المتعلق بإدراكها استماعًا وأداء- يُمْكن من خلاله تحديد تلك الظواهر، وبيان أحكامها المعيارية، وإخضاعها للتعلّم والتعليم.

- إقحام مصطلحات القياس الفيزيائي في مفاهيم الظواهر التطريزية وحدودها لم يكن ذا جدوى في إيضاحها أو في إمكان ذوقها وإدراكها.

- إصدار أحكام تقويمية تتعلق بالظواهر التطريزية في أداء القراء؛ بناء على معطيات القياس الفيزيائي – يمثل أثرًا من الآثار السلبية للدراسة المختبرية.

- تجريد الظواهر التطريزية وإخضاعها للتعلم والتعليم اعتمادًا على الملاحظة الذاتية - أمر ممكن، وقد بدا ذلك في نماذج واضحة، كنظرية الميزان النبري، وموسوعة النبر والتنغيم، وغير ذلك.

- يلاحظ في إشارات التراث التنغيمية اتصالها بالأساليب تارة، وتعلقها بالتفريق بين المواقع الإعرابية تارة أخرى، وتعلقها بشيء من آداب التلاوة أحيانًا، وهي إشارات لا يمكن إغفالها في تصور نموذج أدائي تنغيمي للقرآن الكريم.

- إن كان من عذر للباحثين في تلمس ظاهرتي النبر والتنغيم من خلال القياس الفيزيائي؛ حيث لم تحدد أوصاف ضابطة واضحة لتلك الظواهر في تراثنا- فإنه ليس من عذر في تلمس ظاهرة التزمين من خلال القياس

الفيزيائي؛ فهي ظاهرة وُصفت وصفًا ضابطًا، ووضعت قوانينها وأسبابها بما يستقيم به الأداء القرآني، وبما لا يمكن الحيد عنه من دون ملاحظته وإدراكه.

- هناك مساحة من السعة في أداء الظواهر التطريزية عصية على صرامة التقنين، وهذه المساحة ينبغي أن تراعى في كل وصف ضابط يحاول الكشف عن أنظمة تلك الظواهر في الأداء الفصيح.

- ويتصل بما سبق أن مساحة السعة هذه ينبغي ألا تكون سبيلًا إلى تمييع الأداء اللغوي الفصيح، وقبل ذلك الأداء القرآني، بحيث يخضع لتأثر الناطقين بالعجمة واللكنة وغير ذلك مما يفسد الذوق اللغوي.

- لا يمكن التسليم بإنكار بعض الباحثين إدخال الظواهر التطريزية في الأداء القرآني بحجة أن القرآن الكريم بأحكام تجويده وترتيله يجب أن يبقى بعيدًا عن أساليب الكلام المعتاد؛ إذ إن مراعاة أحكام التجويد هي ضابط الكيفيات الصوتية في الأداء القرآني.

- للقياس الفيزيائي من المشكلات ما يمثل خللًا يقدح في الاعتماد عليه في تجريد الظواهر التطريزية.

- لا ينبغي أن تكون مشكلات القياس الفيزيائي سبيلًا إلى إهمال هذه الظواهر الأدائية، والعزوف عن ملاحظتها والحديث عنها؛ إذ هي ظواهر لا تعارض ما استقرّ من قوانين الأداء القرآني، بل يمكن توظيفها في تحسين الأداء وإبراز المعنى، غاية ما هنالك أننا بحاجة إلى أن نُيَمِّمَ وجوهنا شطر ما ورد في تراثنا من إشارات مع كثير من النظر والتأمل، وهذا كفيل بأن يَقِفَنَا على أبعاد واضحة لكثير من هذه الظواهر.

- ذكر البحث أهم غايات تجريد الظواهر التطريزية، وحدد أمورًا يمكن الانطلاق منها ومراعاتها في تجريدها.

وبعد، فإن هذا جهد المقل أسأل الله ألا يكون قد فاتني فيه من صدق النية

وإخلاص العمل ما فاتني فيه من الصواب، وألا تكون الإساءة فيه قد أربت على الإحسان إليه، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل زادًا إلى حسن المصير إليه، وعتادًا إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

- أسس علم اللغة ماريوباي ترجمة وتعليق د/ أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين، د/ سعد عبد الله الغريبي، ط مكتبة الطالب الجامعي – مكة المكرمة، ط١ ١٩٨٦م.
- الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ط مكتبة نهضة مصر .
- الأصوات اللغوية د/محمد علي الخولي ط مكتبة الخانجي ط١ ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.
- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية د/سمير شريف إستيتية ط دار وائل للنشر الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- الألعاب الكلامية اللسانية دراسة صوتية تركيبية، د/ أحمد عبد المجيد هريدي، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١ ١٩٩٩م.
- إملاء ما من به الرحمن للعكبري، حقيق: إبراهيم عطوه عوض، ط المكتبة العلمية – لاهور.
- إيقاع الشعر العربي بين الكم والكيف دراسة في النظرية والتطبيق د/ عبد الحميد عليوة مسعد ط مكتبة القاهرة ط١ ١٩٩٧م.
- البحث اللغوي عند إخوان الصفا د/ أبو السعود أحمد الفخراني ط مطبعة الأمانة ط ١ ١٩٩١م.
- البيان والتبيين للجاحظ، ط دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- البينيّة لعلوم اللغة، مجدي رشاد، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١ ٢٠١٨م.
- التبصرة في القراءات السبع، للإمام مكي، تحقيق د/ محمد غوث الندوي، ط الدار السلفية – الهند ط٢ ١٩٨٢م.

- التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية، سلمان حسن العاني، ترجمة د/ ياسر الملاح، ط النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١ ١٩٨٣م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣ ١٤١٩ هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تحقيق يوسف علي بديوي ط دار الكلم الطيب، بيروت ط١ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- التمهيد في معرفة التجويد للهمذاني، تحقيق الشيخ جمال الدين محمد شرف، والشيخ مجدي فتحي السيد، ط دار الصحابة بطنطا ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ٢٠٠١م.
- الجامع الصحيح، للإمام البخاري تحقيق مصطفى ديب البغا، ط دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣ ١٩٨٧م.
- جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، ط دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت، ط١ الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ط دار المنارة للنشر والتوزيع، ط١٢ ١٩٩٨م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق الشيخ محمد علي النجار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤ ١٩٩٩م.
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٨٠ ط دار عمار – الأردن، ط٣ ٢٠٠٣م.
- دراسة الصوت اللغوي د/ أحمد مختار عمر، ط عالم الكتب، ١٩٩٧م.
- دراسات في الدلالة والمعجم د/ رجب عبد الجواد، ط دار الآفاق العربية، ط١ ٢٠١٦م.
- دراسات نقدية في اللسانيات المعاصرة د، سعد مصلوح ط عالم الكتب –

القاهرة.

- دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو ترجمة أ/صالح القرمادي ط الجامعة التونسية مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، ط دار القلم، دمشق.
- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٥م.
- الطارئ على زلة القارئ لابن طولون، تحقيق عمر يوسف عبد الغني حمدان، ط دار ابن حزم، ط١ ٢٠١٨م.
- العربية الفصحى: دراسة في البناء اللغوي تأليف: هنري فليش تعريب وتقديم وتحقيق: د/ عبد الصبور شاهين الناشر: دار الشباب – مصر.
- عرف الند في حكم حذف حرف المد، لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي، تحقيق، إبراهيم أيت وغوري، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ ٢٠٠٩م.
- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة د/عبد الصبور شاهين ط مكتبة الشباب ١٩٨٤م.
- علم الأصوات د/كمال بشر ط دار غريب – القاهرة ٢٠٠٠م.
- علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية د/ بسام بركة ط مركز الإنماء القومي – لبنان.
- علم الصوتيات د/ عبد العزيز علام ود/عبد الله ربيع، ط مكتبة الرشد- الرياض ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
- العميد في علم التجويد تحقيق محمد الصادق قمحاوى ط دار العقيدة – الإسكندرية ط١ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط مكتبة ابن تيمية عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.
- الفتاوى التاتارخانية لابن العلاء الأنصاري الأندربتي الدهلوي تحقيق القاضي سجاد حسين طبع على نفقة وزارة المعارف والشئون الثقافية للحكومة الهندية.
- في البحث الصوتي عند العرب د/ خليل إبراهيم العطية، ط دار الجاحظ للنشر – بغداد، ١٩٨٣م.
- في علم الأصوات الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع، النبر، التنغيم) : سورة الواقعة نموذجا، د/عطية سليمان ص ٢٩٤، ط الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- اللغة العربية معناها ومبناها د/تمام حسان ط عالم الكتب الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني ط وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- المختصر في أصوات اللغة العربية د/محمد حسن جبل، ط مكتبة الآداب ط ٤ ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.
- مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي، مطبعة الجريسي، ط٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- المستصفى في علم الأصول، للغزالي، تحقيق د/محمد سليمان الأشقر، ط مؤسسة الرسالة، ط١ ١٩٩٧م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- مقالات العلامة محمود محمد الطناحي صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب ط دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١ ٢٠٠٢م.

- مقالات في اللغة والأدب د/محمد محمد حسين ط مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربي، عبد الكريم القحطان، ط دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد اللّه محمد الدرويش، ط ١ ٢٠٠٤م.
- من التزمين في نطق العربية الفصحى بمصر المعاصرة، عبد العزيز علام، دار البصائر، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي د/أحمد كشك ط دار غريب القاهرة ط ١ ٢٠٠٦م.
- مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان، ط مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.
- المنظومة الخاقانية لأبي مزاحم الخاقاني ط مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
- موسوعة النبر والتنغيم في الأداء القرآني للأساليب اللغوية، د/ عبد اللّه المفلح، ط تأثير للنشر والتوزيع- السعودية، ط ١ ٢٠٢٤م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د/ عبد الوهاب المسيري، ط دار الشروق، ط١ ١٩٩٩م.
- الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، تحقيق د/غانم قدوري الحمد، ط دار عمار – الأردن ط١ ١٤٢١ه ٢٠٠٠م.
- نبر الاسم الجامد والمشتق دراسة فيزيائية نطقية د/أحمد سلامة الجنادبة ط دار الجنان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- النبر عند مجودي القرآن الكريم دراسة وصفية محتبرية، د/عايدة إسعادي، ط دار الآفاق العربية ٢٠٢٤م.

- النبر في العربية مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن د/خالد عبد الحليم العبسي ط عالم الكتب الحديث – الأردن ط١ ٢٠١١م .
- النبر في القرآن الكريم: صوره ورؤاه وقضاياه ومسائله الخلافية، أحمد زين الدين، ط دار الآفاق العربية – مصر، ط١ ٢٠٢٢م.
- النبر في قراءة القرآن المبين عند المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، علي بن سعد الغامدي المكي، ط المكتبة الخيرية.
- نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية دراسة صوتية د/عبد الحميد زاهيد ط دار وليلي للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- نثر الدر في المحاضرات أبو سعد الآبي تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ط دار الكتب العلمية - بيروت /لبنان ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع ط المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

ثانيًا: الرسائل الجامعية

- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ــ دراسة تطبيقية تحليلية في سورتي القيامة والإنسان، رسالة ماجستير، نادر زين العرب، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠١٨م.
- التبيان في آداب حملة القرآن تحقيق محمد الحجار، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ط٣ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- التنغيم ودلالته في أسلوب الاستفهام: سورة الذاريات تجويد القارئ محمد المنشاوي نموذجا : دراسة صوتية مختبرية، رسالة ماجستير للباحثتين سلمى بن تيطراوي- وردة جزار، جامعة أمحمد بوقرة بومرداس – كلية الحقوق – فرع اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٧م.
- الخصائص الصوتية في قراءة الشيخ محمد صديق المنشاوي في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، للباحث محمد ربيع محمد عبد السلام رسالة

ماجستير في جامعة الفيوم -كلية دار العلوم – قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية ١٤٣٦ ه ٢٠١٥م

- دور الصرف والنحو في توجيه نبر الشعر د/وليد مقبل، رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – قسم النحو والصرف والعروض، ٢٠٠٩م.
- السمات الأدائية للجملة الأمرية في النصف الأول من القرآن الكريم دراسةٌ مقارنةٌ بين تلاوتي الشيخ الحصري والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، رسالة دكتوراه، نادر زين العرب، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠٢٣م.
- عن النبر في نطق العربية الفصحى بالعالم العربي المعاصر د/عبد الله ربيع، رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية بالقاهرة – قسم أصول اللغة ١٩٧٣م.
- فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، إبراهيمي بوداود، رسالة دكتوراه جامعة وهران – كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٢م.
- المقطع الصوتي العربي بين الكمية والمدة الزمنية دراسة أكوستيكية، رسالة دكتوراة، يحيى علي يحيى المباركي، كلية اللغة العربية – جامعة أم القرى. ١٩٩٣م.
- المقطع الصوتي في تشكيل الإيقاع في القرآن الكريم سورة الرحمن أنموذجًا للباحثة كورديا أحمد حسن صالح رسالة دكتوراه في كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠١٦م.
- من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية تحليلية من سورة الشرح إلى سورة الناس، رسالة ماجستير، أحمد عبد الموجود عطية، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠١١م.
- من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم سورتي الحديد والمرسلات دراسة تطبيقية على ترتيل الشيخ الحصري، د/محم حسان محمد أحمد، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٢٠م.

- من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم من أول سورة الملك إلى آخر سورة نوح دراسة تطبيقية على ترتيل الشيخ الحصري، د/عائشة سالم محمد يوسف رسالة دكتوراه جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ٢٠١٩م.
- من الإعجاز الصوتي في سورة الممتحنة دراسة تطبيقية على ترتيل الشيخ الحصري، رسالة دكتوراه، أنهار محمد كامل عبد التواب، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠٢٠م
- النبر والتنغيم في القرآن الكريم دراسة لغوية حاسوبية د /عائشة يوسف عبد الحميد التركاوي رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة – كلية دار العلوم – قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، ٢٠١٣م.
- النبر والتنغيم والفواصل الصوتية في العبرية وآرامية العهد القديم والسريانية في ضوء علم الأصوات الوظيفي دراسة مقارنة رسالة دكتوراه للباحثة ماري جرجس قليني حنا جامعة عين شمس-كلية الآداب- قسم اللغة العبرية وآدابها ١٤٣٩ه/٢٠١٨م.
- نغم اللغة العربية دراسة فونولوجية للعناصر فوق المقطعية، النبر أنموذجًا، رسالة دكتوراة د/ رضا زلاقي – جامعة الجزائر ٢٠١٣م.

ثالثًا: الأبحاث

- الاتساق الصوتي في سورة التحريم التنغيم أنموذجًا، م. محمد عباس معن، بحث منشور في مجلة العميد – العراق، السنة الخامسة، مجلد (٥) عدد (١٨) حزيران ٢٠١٦م.
- الأثر الإيقاعي للتنغيم في سورة المائدة، محمد بولخطوط، بحث منشور في مجلة العلامة، جامعة قاصدي مرباح ورقلة - كلية الآداب واللغات - مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب – الجزائر. عدد ٤ جوان ٢٠١٧م.
- أنماط التنغيم الصوتي في شعر السياب (دراسة حاسوبية) د/ بشرى عبد الرازق العذاري، بحث منشور في صحيفة دار العلوم، عدد ٥٠، ديسمبر ٢٠١٤م.

- الاستغراق الزمني وأثره في تشكيل اللغة وإدراكها د/فادية فاروق عبد العزيز ، بحث منشور في مجلة مركز اللغات والترجمة – جامعة القاهرة- مجلد ٦ عدد ١ يناير ٢٠١٧م.
- الجوهر المضيء على عمدة المفيد في علم تجويد الحروف الهجائية للشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الخالق المزجاجي تحقيق د/محمد عادل شوك ، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة الحادية عشرة : العدد الثالث والأربعون – شعبان ١٤٢٤ه – أكتوبر ٢٠٠٣م .
- الخطوط الرئيسية لنظرية المعرفة، لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، بحث منشور في مجلة الفيصل، العدد الأول – السنة الثانية، رجب ١٣٩٨هـ، يونيو ١٩٧٨م.
- ظاهرة النبر في العربية الفصحى نقد وتقويم في ضوء دراسة أكوستيكية مختبرية د/رضا زلاقي، بحث منشور في حولية كلية الآداب واللغات – جامعة محمد بو ضياف – الجزائر، عدد ١١ مجلد ٥ مايو ٢٠١٨م.
- مصطلح التنغيم في التراث اللساني العربي د/ جيلالي بن يشو، بحث منشور في مجلة اللغة العربية - المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر، مج. ٢٠١٢، ع. ٢٩، ٢٠١٢م.
- المعالجة الآلية للبنى التطريزية "التنغيم أنموذجًا" للباحثة بوغاري عائشة، بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست – الجزائر، مجلد: ٩، عدد: ٢، السنة: ٢٠٢٠م.
- المقطوع والموصول بين رسم المصحف والأداء اللغوي (مصحف المدينة أنموذجًا) بحث للدكتور وليد مقبل منشور في مؤتمر ندوة طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول ١٤٣٦هـ.
- من مشكلاتنا الصوتية في نطق العربية الفصحى وتعليمها بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية عدد ٨ ١٩٧٨م.
- مواضع نبر الكلمة عند الفونولوجيين العرب المحدثين: دراسة مخبرية تحليلية

لبعض النماذج، نعيمة كناز، وخليفة صحراوي، بحث منشور في مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة باجي مختار- عنابة- الجزائر، المجلد: ٢٣، عدد ٥٢، ديسمبر ٢٠١٧م.

- الميزان الوفي في اللحن الجلي والخفي للشيخ الإمام عبد العزيز بن أحمد الديريني، تحقيق وتعليق طه محمد فارس، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد: ٩٧، مارس ٢٠١٧م.

رابعًا: المخطوطات

- روح المريد في شرح العقد الفريد في علم التجويد، مخطوط في مكتبة مجلس شوراي ملى – إيران ، متاح على الشبكة العنكبوتية.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:.....٣٣٦١
مقدّمة.....٣٣٦٥
أسباب اختيار الموضوع.....٣٣٦٦
منهج البحث.....٣٣٦٧
خطة البحث.....٣٣٦٧
تمهيد: عن الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها.....٣٣٦٩
أولًا: موقعية الظواهر التطريزية من علم الأصوات.....٣٣٦٩
ثانيًا: الظواهر التطريزية والمراد من تجريدها:.....٣٣٧٠
المبحث الأول: الظواهر التطريزية من الملاحظة الذاتية إلى القياس الفيزيائي (تفسير أم تحكم؟).....٣٣٧٢
المبحث الثاني: مفاهيم الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.....٣٣٧٦
المبحث الثالث: أقسام الظواهر التطريزية وقوانينها بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.....٣٣٨٠
المبحث الرابع: الأحكام المعيارية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.٣٣٨٦
المبحث الخامس: مشكلات تجريد الظواهر التطريزية بين القياس الفيزيائي والملاحظة الذاتية.....٣٣٩٦
أولًا: مشكلات التجريد المتعلقة بالملاحظة الذاتية.....٣٣٩٦
ثانيًا: مشكلات التجريد المتعلقة بالقياس الفيزيائي.....٣٣٩٧
المبحث السادس: تجريد الظواهر التطريزية (غاياته والسبيل إليه).....٣٤٠٥
المبحث السابع: تجريد الظواهر التطريزية بين التكلف والسعة.....٣٤٠٩
الخاتمة.....٣٤١٦
قائمة المصادر والمراجع.....٣٤١٩
فهرس الموضوعات.....٣٤٢٩